ما هو الشعر ؟

نزار قباني

" كل الطرق عند الأوروبيين توصل إلى روما وكل الطرق عند العرب توصل إلى الشعر ... "

نزار قباني

1

افتتاحية

إذا أخذنا دبوساً .. وأدخلناه تحت جلد أي مواطن عربي ، فإن سائلاً سحرياً سوف يتدفق .

هذا السائل ليس نفطاً .. ولا هو من مشتقات النفط . وإنما هو سائل أخضر اللون ، ذهبي الشعلة . أبدي التوهج ، اسمه الشعر .

الشعر ، لا النفط ، هو مخزوننا الحضاري .

وهو مخزونٌ لا يتناقص ، ولا ينشف ، وليس لمنظمة الأوبك سلطانٌ عليه ، ولا للدول العظمى قدرة على احتكاره . وتسويقه . لأنه ينبع من أعماق الروح الإنسانية حيث لا سلطان لأحد ..

2

الشعب العربي محكوم بالشعر ..

كما هولندا محكومة بالبحر .. وأوستراليا بالقمح .. وكوبا بقصب السكر .. وسيلان بالشاي .. وإفريقيا بالنمور والزرافات .. وفرنسا بالنبيذ .. وإسبانيا بالعيون السود ..

كل الأطفال العرب يولدون شعراء .. حتى إشعار آخر ..

وكل الأطفال العرب يخططون ليكونوا شعراء ، حتى تجبرهم الظروف الاجتماعية والمادية على أن يستقيلوا من دمهم ، ليصبحوا غصباً عنهم ، أطباء ، ومهندسين ومقاولين ...

والشعب العربي هو الشعب الوحيد ، الذي يذهب لسماع أمسية شعرية بالحماس ذاته الذي يذهب به إلى حفلة عرس .. أو مباراة لكرة القدم ، أو إلى كارنفال للرقص الشعبي .

وإذا كانت فلورنسا تفتخر بميكيل أنجلو ..

وفينيسيا تفتخر بزجاجها الملون ...

والقدس تفتخر بعدد قديسيها وأنبيائها ...

ودمشق تفتخر بوردها البلدي ...

والبصرة تفتخر بأنها أرض المليون شجرة نخيل ..

فإن جمهورية موريتانيا العربية تفتخر بأنها أرض المليون شاعر ..

3

مليون شاعر .. هل هذا ممكن ؟

بالنسبة للخيال العربي ، كل شيء ممكن ..

وما دام العربي مقتنعاً ، بأن صادراته من الشعر ، تزيد على صادراته من

القطن والحنطة ، والنسيج ، فلماذا نكسر له خياله ؟

إنني لا أقول هذا من باب المباهاة ، والغرور القومي ، فأنا أعرف أن الشعر هو نقطة قوة العرب ، ونقطة ضعفهم في الوقت ذاته . كما أعترف ، بأن الشعر ، بقدر ما أشعل همة العرب وكبرياءهم ، فإنه من جانب آخر ، غرر بهم ، وورطهم ، ودفع بهم إلى اتخاذ مواقف دونكشوتية ، فيها كثير من الطيش والرعونة واللا واقعية .

ولكن ما أريد أن أسجله هنا ، هو أن الشعر كان مفصلا أساسيا في الحياة العربية ومرفقا خطيرا من مرافق الدولة لا يقل أبدا من حيث الأهمية عن مرافق الدفاع والخارجية والإعلام .

في قصر الحاكم كان الشعر موجودا ..

وفي المساجد ، وحلقات العلم كان موجودا ..

وفي المقاهي، والأحياء الشعبية ، كان موجودا ..

وفي الوزارات كان موجودا ، حيناً بصفة مستشار صحفي ، وحيناً بصفة مستشار عسكري ، وحيناً بصفة سفير متجول ، مطلق الصلاحية ..

ومن منا لا يعلم أن القبائل العربية كانت تحتفل بظهور شاعر فيها ، كما يحتفلون اليوم بتنصيب البابا .. أو تتويج إمبراطور .. أو انتخاب ملكة جمال الكون .. أو إطلاق رائد فضائي إلى القمر ...

4

الشعر موجود بكل تفاصيلنا اليومية .

في الأفراح ، نقدمه مكان الورد الأبيض .. والقرنفل ...

وفي أعياد الميلاد ، نقدمه مكان قالب الحلوى ..

وفي الأعراس ، نطرزه بالقصب على أكمام العروس ..

وفي الولادات ، نجعله قلادة ذهبية في رقبة الطفل ...

وفي المعابد ، نشعله بخورا لاسترضاء الله ...

وفي المسيرات ، نفجره قنبلة لإسقاط الحكم ...

وعندما نعشق ... نجعله إسوارا من الزمرد في معصم الحبيبة ..

5

أمام هذا الاحتلال الشعري ، الذي استمر ألفي سنة ، وربما أكثر، والذي قبلناه راضين ، وسعداء ، وشاكرين .. لا يملك المرء إلا أن يتساءل ، إذا كان هذا الاحتلال الشعري الجميل ، قد أغنى حياتنا .. وجملها .. وعمقها .. أم أنه ككل احتلال تقليدي ، سرق منا الشمس ، وأعطانا كرة من الزجاج الملون نلعب بها في أوقات فراغنا ..

بكلمة أخرى...

هل استهلك الشعر من أعمارنا أكثر مما يجب ؟

وهل بالغ العرب في عبادة الشعر ، حتى صار في حياتهم وثنا ككل الأوثان ؟

هل هذه الجرعة غير المعقولة التي تناولناها من الشعر، كانت سبب صحتنا .. أم سبب اعتلال صحتنا ؟ ..

وإذا كان العالم العربي ، يعيش في هذه الأيام ذروة تساقطه وانهياراته .. فإلى أي حد يمكن اعتبار الفكر الشعري مسؤولا عن هذه الانهيارات ؟

إن الشعر كشعر لا يمكن أن يتحمل وحده أخطاء العصر العربي وانحرافاته وعاهاته ...

لا يمكن أن يكون وحده مسؤولا عن خمسة قرون من التناثر والتبعثر والتشرذم القومي والثقافي .

الشعر هو الوجه الآخر للإنسان ..

فإذا كان شعرنا هو هكذا ... فلأننا هكذا ؟

وإذا كان الشعر العربي قد انطفأ .. أو أفلس ... أو انتحر .. في مرحلة ما فلأن الإنسان العربي في ذات المرحلة كان منطفئاً ، ومفلساً ، ومنتحراً ..

عندما كان الإنسان العربي عظيماً ، كتب شعراً عظيماً.

وعندما صار هابطاً ، كتب شعراً هابطاً .

هذه هي المعادلة الصحيحة .

وهي لا تطبق على الشعر العربي وحده وإنما تطبق على الشعر في كل زمان ومكان ....

إن حبة العنب في أساس تكوينها حلوة المذاق ، وكل حموضة فيها هي حموضة الإنسان الذي زرع العنب .. لا حموضة العنب ...

6

إنني لا أنصب نفسي محامياً عن الشعر ..

فالشعر هو مادة حساسة جداً ، كأفلام التصوير . نطبع عليها تفاصيل حياتنا العائلية ، والعاطفية ، والقومية .

فإذا كنا سعداء كانت الصورة ناجحة ..

وإذا كنا أشقياء احترقت الصورة ..

وهذا بالضبط ما يحدث الآن ..

فجميع الصور التي يلتقطها الشاعر للعائلة العربية ، في هذه الأيام ، هي صور فاشلة ،غير قابلة للتظهير ، أو للتكبير ..

لذلك ، نعتذر إليكم عن التصوير، لأن الإضاءة رديئة ومدى الرؤية ضيق جدا ..

ثم إن الأحلام قد احترقت ... والعدسات قد احترقت .. والكاميرات قد احترقت .. وعيون الشاعر قد احترقت ..

فكيف نأخذ صورة للقبيلة العربية ، في هذا الجو الرمادي المكفهر .. كيف ؟؟.

7

ما هو الشعر ؟

ليس من طموحات هذا الكتاب ، أن يكون دليلا سياحيا يقول لكم في أي جزيرة يسكن الشعر .. وفي أي فندق يقيم .. وفي أي مقهى يجلس .. وما هو عمره .. ولون عينيه .. وهواياته المفضلة ..

وليس من مقاصد هذا الكتاب ، أن يكون كتابا في التدبير المنزلي ، يشرح لربات البيوت ، كيف يمكن مزج ثلاثة ملاعق طحين ، بنصف ليتر حليب ، وثلاث بيضات ، ونصف قالب زبدة ، ووضع المزيج لمدة ثلاثين دقيقة في الفرن ، للحصول على قصيدة ..

وليس من هموم هذا الكتاب أن يكون مرجعا في فن السحر .. يتعلم منه الهواة ، كيف يخرج الأرنب من القبعة .. وكيف نستطيع تحويل النحاس إلى ذهب .. وكيف بوسعنا أن نتسلل إلى حجرة بنت السلطان ، رغم سيوف الحرس ، وأنياب الكلاب البوليسية .

وإذا كانت بنت السلطان ، القمرية الوجه ، والحريرية اليدين ، والذهبية الضفائر .. تحب الشعر ، وتفكر بالزواج .. فهذا لا يعني أنها ستتزوج مليون شاعر عربي ، يقفون بالطابور على بابها ..

فبنت السلطان ،على براءتها ، وعذوبتها ، وصغر سنها ، صعبة في اختيار الرجال .. وصعبة في اختيار القصائد ..

وهي لن تذهب في آخر الأمر ، إلا مع من يقدم مهرها حبا حقيقيا .. وشعرا حقيقيا ..

8

ما هو الشعر ؟

ليس للشعر صورة فوتوغرافية معروفة ..

وليس له عمر معروف .. أو أصل معروف ..

ولا أحد يعرف من أين أتى .. وبأي جواز سفر يتنقل ..

المعمرون يقولون : إنه هبط من مغارة في رأس الجبل واشترى خبزا ، وقهوة ، وكتبا ، وجرائد من المدينة .. ثم اختفى ..

وسكان الشواطئ يقولون : إنه خرج من أعماق البحر ، وإنه لعب طول النهار مع الأطفال ، والأمواج ، والأسماك الذهبية ، ثم عاد إلى بيته البحري ..

وأطفال المدينة يقولون : إنه خرج من الغابة ، وابتسم لهم ، وأعطاهم أزهارا ، وأقمارا وفراشات ، وأكواز ذرة، وفطائر محشوة عسلا .. ثم ابتلعته الغابة ..

ونساء المدينة يقلن: إنه دخل عليهن كعصفور ربيعي ، فنقر من شفاههن .. وعربش على ضفائرهن .. ولعب بأساورهن .. وعواطفهن .. وترك

ريشه على شراشفهن .. وهز جناحيه وطار ..

ومعلمو المدارس يقولون: إنه دخل على صفوفهم ذات صباح ، فتكلم مع التلاميذ لغة لم يتعلموها ... وكتب على السبورة السوداء حروفا لم يروها من قبل ... ففهموا ما قال لهم ، وحملوه على أكتافهم ، وخرجوا إلى الشوارع بمظاهرة .. مطالبين بتعيين الشعر ، وزيرا للثقافة ..

9

ما هو الشعر ؟

ليس في ملفات البوليس حتى الآن ، معلومات أكيدة عن مكان وجود الشعر ، وعن ديانته ، وعقيدته ، وجنسيته ، وانتماءاته .

هل هو مواطن آسيوي ، أم أفريقي ، أم أوربي ، أم أميركي ؟

هل جلده أبيض ، وعيناه زرقاوان ؟

أم جلده أسود ، وشعره مجعد ؟

أم جلده أصفر .. وعيناه إشارتا استفهام ؟

هل هو من سكان الهند ، أم السند ، أم بلاد الاسكيمو .

أم هو من شبه جزيرة العرب ؟

هل هو نصراني ، أم عبراني ، أم مسلم ، أم بوذي .. أم هو من عبدة النار ؟

هل هو يميني ، أم ماركسي ، أم فوضوي ، أم عدمي ؟ .

هل هو برجوازي ،أم بروليتاري ، تقدمي أم رجعي ، ملكي أم جمهوري ، متزوج أم أعزب ... بريء الذمة ، أم محكوم عليه بجرم شائن ....

كل ما في أرشيف البوليس ، صورة تقريبية مرسومة بالقلم الرصاص لرجل عصبي الملامح ، متطاير الشعر ، يدخن كثيرا ، ويشرب غالون قهوة .. وخمسة غالونات بيرة وطنية في اليوم .. ويلبس في النهار جاكيتة جلدية .. وفي الليل يلبس أحزانه ...

10

ما هو الشعر ؟

ليس هناك نظرية للشعر ...

كل شاعر يحمل نظريته معه ...

والشعراء الذين حاولوا أن ينظروا في الشعر ، خسروا شعرهم ، ولم يربحوا النظرية .

باعوا الشمس .. واشتغلوا على تركيب لمبة كهربائية من خمسين شمعة ..

باعوا البحر .. واكتفوا برؤية بضع سمكات صغيرات في الأكواريوم ..

باعوا فم الحبيبة الجميل .. واهتموا بعدد أسنانها ..

أما أنا ، فمنحاز إلى فم حبيبتي لا إلى أضراسها .. منحاز إلى عينيها لا إلى نظاراتها السوداء .

التنظير في الشعر لا يعنيني .

ما يعنيني هو الشعر نفسه ...

فالشعر هو أنا .. وأنتم ..

هو هذا الرغيف الساخن من الكلمات الذي نقتسمه معا .. وهذا الثوب البديع من المشاعر والانفعالات الذي نلبسه معا..

لذلك لا تنتظروا مني أن أكتب لكم (راشيتة) تشفي فضولكم ..

فليس من السهل أن أجمع رمادي في قارورة على الطريقة البوذية قائلا :

((هذا أنا بيولوجيا .. وكيميائيا .. وتشريحيا ..))

إن رماد الشاعر لا يجمع ، بمثل هذه السهولة ..

إن خلفي أربعين سنة ، تزوجت فيها الشعر وتزوجني .. واستولدته عشرين مجموعة شعرية تختصر نبضي .. وتنفسي .. وجهازي العصبي كله ..

لا يمكنني أن أضغط حياتي في (برشامة) ليبتلعني الفضوليون ، ومحررو الصفحات الثقافية ..

كما لا يمكنني أن أعجن ألف امرأة في امرأة واحدة ، وأقول لكم : ((هذه هي حبيبتي ..)) .

هذا ظلم لحبيبتي ... كما هو ظلم لي ..

11

ما هو الشعر ؟

ما أسهل كتابة الشعر .. وما أصعب الكلام عنه ..

الشعر هو الرقص ..

والكلام عنه ، هو علم مراقبة الخطوات .

وأنا بصراحة أحب أن أرقص .. ولا يعنيني التفكير بحركة قدمي .. لأن مجرد التفكير بما أفعل ، يفقدني توازني .

الشعر رقص باللغة ، أعيدها مرة ثانية .

رقص بكل أجزاء النفس ، وبكل خلجاتها الواعية واللاواعية ، وبكل طبقاتها الظاهرة والمستقرة ، وبكل أحلامها الممكنة وغير الممكنة .. وبكل نبوءاتها المعقولة ، وغير المعقولة ..

إن الذين يكتبون النثر ، من قصة ورواية ومسرحية ، لا يعانون من أية مشكلة ..

فهم يمشون مشيا طبيعيا ، ويسيرون على الأرصفة المخصصة للمارة ..

أما الشعراء فهم يؤدون رقصة متوحشة ، يتخطى فيها الراقص جسده .. ويتجاوز الإيقاع الموضوع ، ليصبح هو نفسهُ إيقاعا..

إنني أرقص ولا أعرف كيف ..

وأكتب الشعر ، كما لا تدري السمكةُ كيف تسبح .. والأرنب كيف يقفز .. والنهد كيف يخالف قانون الجاذبية الأرضية .

إن زعانفي ترتعش .. وأجنحتي تضرب بعضها .. وريشي يتناثر .. وأعرق .. وأغرق .. وأتمزق .. وتخرج القصيدة من جسدي كما يخرج السهم الناري ، وكما تخرج الرصاصة من ماسورة المسدس ..

الشاعر موجودُ في شعره بشكل إلزامي ، وجبري .

إنه محتجز ، داخل الشعر ، كما السمكة معتقلة في محيطها المائي ، لا تملك انسحاباً .. ولا خلاصا ..

وما دام الشعر مزروعاً في الشاعر حربةً من البرونز المشتعل ، فمن الصعب عليه اكتشاف الحدود الحقيقية للحربة ، والحدود الحقيقية للطعنة .. لأن اللحم والحربة أصبحا شيئاً واحداً ..

إن تأمل الشاعر لما يجري بداخله عمل عسير ...

إنها ذات الصعوبة التي تعترض المرآة عندما تحاول أن ترى نفسها .. والوردة عندما تحاول أن تشم عطرها ..

12

ما هو الشعر ؟

ليس عندي أي تفسير مقبول .. لذلك الزلزال الذي يركض تحت سطح جلدي ..

من أين يجيء .. وإلى أين يذهب ؟

أنا أتلقى الزلزال مستسلماً ومدهوشاً .. وأخرج من تحت خرائبي ورمادي .. ولا أدري ما حصل .. بانتظار صدور جرائد الصباح ، لأعرف إذا كان اسمي في عداد الموتى ..

وكما لا يمكن توقيت الزلزال ، لا يمكن توقيت الشعر .

إنه هجمة مباغتة تشق حفرةً كبيرةً في سكوننا ، وتنسحب قبل أن نستطيع اللحاق بها .

اليوم الشعري ، كاليوم البحري ، يوم طويل ..

وصيادو السمك ، كصيادي الكلمات .. يتعاملون مع السر ، والصدفة ، ونداء الأعماق ..

إنني أقعد على حافة الورقة .. بانتظار أسماك جديدة مختلفة اللون والحجم ..

أما الأسماك التي اصطدتها ووضعتها في سلتي .. فلم تعد تستوقفني ، لأنها فقدت عنصر الدهشة والإثارة ..

صارت أسماكاً من الزجاج ..

أو قصائد من الزجاج ..

هذا انطباع أولي عما يحدث ..

إنه خاص بي . ويجوز أن يكون زلزال غيري أعنف .. أو أضعف .. حسب ميزان (ريختر) ..

ويجوز أن يصطاد الشعراء الآخرون أسماكهم بالديناميت .. أو يشترونها (مثلجة) ..

أما أنا فأصطاد أسماكي بخيوط الصبر .. ولا أتعامل مع السمك ، أو مع البحر ، بطريقة غير أخلاقية ..

لذلك مطلوب من كل شاعر أن يقدم لنا شهادته عن طريقته في استقبال الزلزال .. واستقبال الأسماك ..

فربما تساعدنا كثرة المعلومات والشهادات على استكمال ملف الشعر .

13

ما هو الشعر ؟

ما زلنا ندور حول الغلاف الخارجي لكوكب الشعر ..

وإذا استعملنا الإصلاح الشامي في تقسيم الحمَّامات الدمشقية إلى (براني) و(جواني) .. فنحن لا نزال في القسم البراني للشعر ..

أما مفاتيح القسم الجواني .. فليست معي .. وهي .. بالتأكيد ، مثل مفاتيح بيوت غرناطة ، ليست مع أحد ....

إنني لا أكسر آمالكم ... ولكن هذا هو الواقع .

طبعاً ، كان بإمكاني ، منذ البداية ، أن أرشوكم بتعريف فصيح ، ولامع ، ومشغول كصينية فضة ..

لكنني في الواقع ، استحيت منكم ... ومن الشعر .. لأن الكذب في الشعر .. حرام ..

كان بإمكاني أن أدخل إلى المختبر ، وأؤلف لكم تأليفاً ذهنياً عشرات النماذج المدرسية لتعريف الشعر :

1- الشعر هو هذه اللغة ذات التوتر العالي ، التي تلغي كل لغة سابقة ، وتعيد صياغتها من جديد .

2- الشعر هو الكلام المجنون الذي يختصر كل العقل ، والفوضى التي تختصر كل النظام .

3- الشعر هو ذلك الانقلاب الحضاري الناجح ، الذي تقوم به البشرية ضد نفسها ، دون عنف ، ودون إراقة دماء .

4- الشعر هو ذلك الفن الخارج عن القانون ، ويعكس قمة العدالة .

5- الشعر هو ذلك الزلزال الاستثنائي ، الذي يأتي ويرحل ، تاركاً ورائه قمحاً .. ووردا .. وعرائش عنب ..

6- الشعر هو تذكرة السفر التي تسمح لنا بالتجول داخل أنفسنا ، واكتشاف أقاليم لم يسبق لنا اكتشافها .

7- الشعر هو هذه اليد المدهشة ، التي تعيد تشكيل الزمن وتعيد ترتيب الأشياء ..

8- الشعر هو حفلة الألعاب النارية التي تشعل الماء .. وتشعل الشجر .. وتشعل اللحظات .. وتشعل اللاعبين والمتفرجين جميعاً ..

9- الشعر هو تلك الوصفة الطبية التي نجهل تركيبها والتي إذا تناولناها ، لم يعد تنفسنا طبيعياً ولا نومنا طبيعياً .. ولا تخطيط قلبنا طبيعياً.

10- الشعر هو الجنون الوحيد الذي لا تستطيع الحكومة أن تأخذك بسببه إلى مستشفى الأمراض العقلية .. ولا تستطيع أن تتركك مع المجتمع .. حتى لا تنسفه ..

11- الشعر هو مجموعة الأسئلة التي لا أجوبة لها .. ومجموعة الأحلام التي لا تفسير لها ..

12- الشعر ، هو شرارات الحرية ، وأمطار الحزن .. التي تتجمع تحت جلد الشعوب ، سنة بعد سنة ، وعصراً بعد عصر .. لتنفجر بعد ذلك أزهاراً .. وأقماراً .. وحجارة ياقوت .. ومقاتلين ..

هذه بعض التعاريف ، أقدمها مع أطيب تمنياتي ، لهواة جمع التعاريف .

وهي تعاريف غير جامعة ، وغير مانعة ، وليس لها صفة القانون العلمي ، وثباته ، وشموليته .

وإنما هي خرطشات على دفتر الشعر ، قد أكون مقتنعاً بها الآن .. وأغير رأيي فيها غداً ..

فما دام الشعر هو هذا الوعل البري ، الذي لا نعرف غرائزه .. وطبائعه .. وأين يسكن .. وكيف يتوالد .. فإن كل محاولة لتحديد أوصافه ، واستكشاف عاداته وطبائعه ، تدخل أيضاً في باب الخرافات ..

14

ما هو الشعر ؟

لا أعرف ..... لا أعرف ..... لا أعرف

فالشعر يثقبني من الداخل .. ولا أدري كيف أصف لكم روعة الطعنة ..

والذي يقول لكم انه يعرف .. يكون إما مذيعاً في فترة التدريب .. أو محرراً من الدرجة العاشرة .. أو صاحب مقهى ثقافيّ ... أو بائع كاسيتات .. أو ديكاً يجرب فينا ثقافته كل صباح ..

أما أنا ، فبكل تواضع المذبوح بسكين الشعر ، أقول لكم : إنني لا أعرف ..

فالشاعر يكتب .. ولكنه أسوأ من يفسر كيمياء الكتابة .

الشاعر موجودٌ في داخل الماء ، والموجود في داخل الماء ، لا يرى مساحة البحر ، وليست لديه فكرة حقيقية عن أنواع التيارات البحرية الغامضة التي تتحكم بحركته ..

إن تفسير الشعر ، كتفسير الأحلام ، فيه كثير من الشعوذة والتجليط ..

والقصيدة المفسرة .. هي حلم تآمرنا على اغتياله ...

لو كانت القصيدة شجرةٌ ، لاكتشفنا في أوراقها كل تاريخ الشجر ...

ولو كانت حجراً ، لعرفنا بعد تحليله مختبريا ، كل تاريخ الحجر ..

ولكن القصيدة طائر أسطوري ، يحمل على ظهره التاريخ والحياة .. والكرة الأرضية .. ويطير ..

وأنتم ، تريدون مني ، أن أتعقب هذا الطائر الأسطوري العجيب إلى كهوفه الجبلية ، وأخبركم كيف ينام .. وكيف يأكل .. وكيف يلقح أنثاه .. وكيف يضع البيوض في شقوق الصخر ..

وصدقوني ، أنني حاولت أكثر من مرة ، أن أسرق لكم بيضة من بيوضه الذهبية ، وأقتلع لكم ريشة واحدة من جناحيه القزحيين .. ولكن طائر الشعر ، كان كلما ارتاب من الفضوليين ، واشتم رائحة الغرباء .. تحول إلى غمامة بنفسجية .. وتلاشى كالروح النقي ..

وإذا كان اعتقال الشعر ، مهمة مستحيلة أو شبه مستحيلة ، فإن هذا لا يمنع من طرح بعض قناعاتي حول الشعر ..

وهذه القناعات ، أو الاجتهادات الشعرية ، هي مجرد قناعات واجتهادات شخصية ، لا تستهدف تعليب التجربة الشعرية ، فالشعر حالة لا تستقر على أي حال .. ولا تحتمل التعليب والتخزين ..

أولاً : الشعر في تصوري مخططٌ ثوري ، يضعه وينفذه إنسان غاضب ، ويريد من ورائه تغيير صورة الكون ، ولا قيمة لشعر ، لا يحدث ارتجاجا في قشرة الكرة الأرضية ، ولا يحدث شرخا في خريطة الدنيا ، وخريطة الإنسان .

ثانياً : الخروج على القانون ، هو قدر القصيدة الجيدة .. وليس ثمة قصيدةً ذات مستوى ، تتناقض مع عصرها .. ولا تتصادم معه .

وفي العصر العربي الراهن ، تمس الحاجة إلى شعراء هيستيريين ، واقتحاميين ، وتصادميين ، يتجاوزون إشارات المرور الحمراء ، ويضعون القنابل الموقوتة تحت عجلات القطار العتيق الذي يركبه أبو جهل .. وحاشيته .. ونسوانه .. وقططه .. وكلابه ..

ثالثاً: كل قصيدة ، بصرف النظر عمن كتبها .. وفي أي عصر كتبت فيه ، هي محاولة لإعادة هندسة النفس الإنسانية ... وإعادة صياغة العالم .

لذلك لا أهمية لشعر يأخذ دور آلة تصوير المستندات .. فالقصيدة هي نسختها الأولى فقط .. وكل نسخة مسحوبة عنها ، هي نسخةٌ مزورة .

رابعاً : يحدث الشعر عشرات الانفجارات الصغيرة داخل اللغة ، فتنكسر العلاقات المنطقية بين الكلمات ، ويتغير مفهومها القاموسي والإصطلاحي ، وتصبح مفردات القصيدة مضيئةً كأرقام ساعة فوسفورية .

خامساً : الشعر هو ابن الطفولة الجميل ، والمشاغب والشيطان والأزعر ..

ومطلوب من الشعر أن لا يتخلى عن طفولته بأي ثمن ، وأن يبقى محتفظاً بشهوة اللعب ..والتحطيم .. والشيطنة .

المطلوب من الشعر أن لا يهدأ.. ولا يكبر .. ولا ينام باكراً .. ولا يطيع أبويه .. ولا يتخلى عن دراجته ، وعلبة ألوانه ، وطائراته الورقية ، ولا يتنكر لصداقة الأزهار ، والضفادع ، والحشرات الصغيرة التي كان يستضيفها في جيوب بنطلونه الصيفي القصير .

مطلوب من الشعر أن لا يتعقلن ولا يقع في دبق الشعارات ، أو دبق الإيديولوجيات ، أو دبق الكاميرات والمهرجانات ..

مطلوب منه أن لا يتزوج ، ولا يتخرج ، ولا يلبس قبعة الأكاديميين لأن كل القبعات هي أصغر من رأس الشاعر .

سادساً : الشعر هو اغتصاب العالم بالكلمات . القصيدة الجيدة لابد أن تغتصب شيئاً ما .. أن تكسر شيئاً ما .. أن تلخبط خارطة الأشياء ..

المتنبي كان مغتصباً لعصره ..

وأبو نواس كان مغتصباً لعصره ..

وعروة بن الورد كان مغتصباً لعصره ..

وديك الجن الحمصي كان مغتصباً لعصره ..

وكذلك كان رامبو .. وبودلير .. وفيرلين .. ولوركا .. وبابلو نيرودا ..

وعلى يد هؤلاء جميعاً .. كتب تاريخ الشعر .

أما الشعراء المطيعون .. والدراويش .. والانضباطيون (كساعات أوميغا) ، فقد يحصلون على شهادة حسن سلوك من مختار حارتهم .. وقد يحصلون على وظيفة في قسم الأرشيف في إحدى الوزارات .. ولكنهم لن يضعوا رجلهم أبداً في بلاط الشعر .

بالنسبة لي أنا لا أطلب شهادة حسن سلوك من أحد ..

الوحيد الذي أطلب رضاه هو الشعر ...

سابعاً : الشعر عصيان لغوي خطير .. على كل ما هو مألوف .. ومعروف .. ومكرس ..

والذين (يمشون من الحيط للحيط ويقولون : يا ربي السترة) .. من الشعراء ، يموتون في صناديق النافتالين .

ولأن الشعر يقاتل باللغة ، فلا أحد يستطيع إلقاء القبض على قصيدة (باستثناء هذا العصر العربي السعيد . حيث لم يعد هناك كبير إلا الجمل .. وحيث توضع القصيدة في الحبس مع بائعات الهوى ، ومهربي سجائر المالبورو ...)

ثامناً: وظيفة القصيدة هي وظيفة تحريضية بالدرجة الأولى ، لا وظيفة توفيقية .

وظيفة القصيدة هي خلخلة العلاقات القائمة بين الإنسان والكون ..لا تثبيتها .. والمصالحة معها ..

لا يمكن لقصيدة ذات مستوى ، إلا أن تخدش حياء المجتمع ، أو تزعزع

قناعاته ، أو تضرم النار في أوثانه ، وأفكاره ، وعاداته ..

عذرية المجتمع شيء وهمي ، وبكارته كذبة تاريخية . وكل المجتمعات في العالم تدعي الطهارة والنقاء حتى يجيء الشاعر . ويفتح ملف الفضيحة . ويطلق الرصاص على الخرافة . فينبجس الدم الأحمر من جسدها .

لا يمكن لقصيدة تحترم نفسها ، أن ترفع قبعتها للقناعات الجاهزة .. وتسجد لآلهة التمر .. وتردد الحكمة الخنفشارية القائلة (ليس بالإمكان أبدع مما كان).

ففي الشعر ، لا يوجد سوى حكمة حقيقية واحدة هي : (ليس في الإمكان أبدع مما سيكون ..).

فبهذا المنظور ، تصبح القصيدة وعداً ، واحتمالا ، وتخميناً .. لا ليرةً عثمانيةً من الذهب ملفوفةً بالقطن .. أو فراشةً محنطة مثبتة على الحائط بالدبابيس ..

وبهذا التصور للشعر ، تصبح القصيدة سهماً ذاهباً إلى المستقبل ، لا كتابةً هيروغليفية منقوشة على تابوت حجري ..

تاسعاً: الشعر هو من مواطني مدينة (لا) ... لا من مواطني مدينة (نعم). أي أن الشعر أساساً هو عمل من أعمال المعارضة لا الموالاة .. ومن أعمال الرفض لا القبول . لذلك فإن أي محاولة لتدجين الشعر
أو توظيفه ، يجعله حصاناً في إسطبل السلطة .. وكلب حراسة على باب السلطان ..

عاشراً : أتصور أيضاً ، أن الشعر برقية عنيفة . وحارقة ، يرسلها الشاعر إلى العالم .

والمرسل إليه ، عنصر هام في كل كتابة ، وليس هناك كتابة لا تخاطب أحداً ، وإلا تحولت إلى جرس يقرع في العدم .

وأزمة الشاعر العربي الحديث ، أنه أضاع عنوان الجمهور . فهو يقف في قارة .. والناس يقفون في قارة ثانية ... وبينهما بحار من التعالي ، والصلافة وعقد العظمة .

وبدلا من أن تكون ثقافة الشاعر وسيلة للتفاهم والاقتراب .. أصبحت قلعة من الغرور لا يدخلها أحد .. وبوابة من الأسلاك الشائكة لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها ..

لماذا ؟

لماذا يعيد موزع البريد قصائد أكثر شعرائنا إليهم ؟

لأنهم نسوا عنوان الشعب ، أو تناسوه .. أو لأنهم نفوا أنفسهم خارج أسوار اللغة ..

إن اللغة ، مثل كل خطوط المواصلات .. تتطلب أن يكون هناك بشر يسافرون .. ويعودون .. ويتلاقون . ويفترقون .. ويتحاورون .. ويتفاهمون ..

وكما أنه ليس ثمة أوتوسترادات تـُفتح لمرور شخص واحد ، فليس هناك لغة تنشأ ليستعملها شخص واحد ..

ولكن الشعر الحديث ، أو أكثره ، لا يعترف بمنطق نشوء اللغات .. ولا بمنطق شق الأوتوسترادات ..

وأنا أتهم عدداً كبيراً من شعراء الحداثة ، وهم في غالبيتهم ، يساريون ، واشتراكيون ، وتقدميون ، بممارسة إقطاع شعري على الشعب العربي ، لا يختلف عن الإقطاع الثقافي والفكري الذي كان يمارسه النبلاء في العصور الوسطى .

15

ما هي القصيدة ؟ :

القصيدةُ طعنةَ جميلةَ ينبت على ضفافها القمح وشقائق النعمان .

طعنةَ تختلف عن كل الطعنات في أن لونها أخضر .

طعنةَ ينزف منها اثنان .. الطاعن والمطعون ، الشاعر والمتلقي .

القصيدة عمل تحريضي من الطراز الأول .. وليست كرسياً هزازاً يساعد على الارتخاء .. ويجلب النعاس .

القصيدة عندي ليست حبة فاليوم ، ولا جهازاً لتكييف الهواء .. ولا مخدة من ريش العصافير .

القصيدة ، ليست مضيفة طيران لتأمين راحتكم .

إنها - على العكس – محاولة لإقلاق راحتكم .

إنها ليست شركة سياحية تؤمن لكم الفندق والسرير ، وزيارة المسارح ، والأمكنة الأثرية .

بل هي قطار المصادفات الذي لا يعرف أحد ميعاد مغادرته ، ولا ميعاد وصوله .

القصيدة ليست مكان اصطياف ، ولا مركزاً للتزلق على الجليد .

ولا كأساً من البيرة المثلجة تخفف عنا حرارة الصيف .

مهمة القصيدة أن تشعل النار ، لا أن تطفىء الحرائق كما يفعل رجال

الإطفاء .

مهمتها أن تخالف جميع أنظمة السير .. لا أن تكون شرطي سير ..

مهمتها أن تدخل البحر ، دون أن يكون في يدها شهادة تأمين .

إن مشكلة شعرنا العربي ، أنه يفضل التمتع بشمس البحر الأبيض المتوسط ، والاستلقاء تحت مظلة الطمأنينة .

ومشكلة الشاعر العربي ، أنه يريد الحصول على بنت السلطان ، دون أن يدفع مهرها ، أو يدخل مع حراسها في معركة للفوز بها ..

وبما أنه ليس هناك امرأة جميلة و بغير معركة .. فإنه ليس هناك شعر له قيمة حقيقية خارج نطاق المغامرة .. والتحدي .. والاستشهاد .

إن القصيدة الجيدة لا يمكنها أن تكون في الماء والنار .. وفي الصيف والشتاء .. وفي القطب الشمالي وعلى خط الاستواء في وقت واحد ..

إن مبدأ عدم الانحياز في السياسة لا يمكن تطبيقه أبداً على الشعر ، لأن الشعر لا يمكن أن يبقى كالبوليس الدولي في المنطقة المحايدة ..

لا يمكن للقصيدة العظيمة أن تكون في داخل الموت وفي داخل السلامة في وقت واحد .

إنني لا أتصور شعراً يقيم في المنطقة الوسطى بين الأشياء ، أي في المنطقة المعزولة من السلاح .. حيث لا محاربين ، ولا أسلحة ، ولا انتصارات .. ولا هزائم ..

لا يمكنني أن أتصور شعراً لا ينحاز إلى جانب ما .. لا يتخذ موقعاً ما .. لا يقاتل من أجل رأي ما .. لا يرفع سيفه لرفع الظلم عن إنسان ما ..

إنني ضد شعر الكورس بجميع أشكاله ونماذجه ..

ضد الشعر الذي تكتبه الأغنام لاسترضاء راعيها ..

ضد كل الشعراء الذين لا يزالون يقبضون مخصصاتهم الشهرية من خزانة سيف الدولة .. أو خزانة الباب العالي ..

وأنا ضد سيرك (مدرانو) في الأدب حيث يرقص الأدباء رقصة الأفيال .. ويمدون خراطيمهم إلى مقصورة الحاكم ليضع فيها موزة .. أو تفاحة .. أو ساعة أوميغا .. أو رغيفاً مبللا بماء الذل ...

نحن بحاجة إلى شعر ينهي وصاية رأس المال على الكلمة .. ويوقف تدخل البترو دولار في شراء ضمير الخليل بن أحمد الفراهيدي .. وتقديم الأحذية الإيطالية لزوجته .. وأشرطة الفيديو كاسيت لأولاده ..

بحاجة إلى شاعر لا ينحني في حضرة الخليفة .. وإنما ينحني الخليفة في حضرة شعره .

16

نزار قباني من أنت ؟

مكان ولادتي:

تحت شجرة ياسمين تهرهر أقمارها على بلاط بيت
دمشقي قديم ، واقع بين حي (الشاغور) وحي (مأذنة الشحم) .

شهود الولادة :

مجموعة من الحمائم .... والسنونو ... والقطط الشامية .. كانت مقيمة على سطح منزلنا في 21 آذار (مارس) 1923 – وكانت تأكل .. وتشرب .. وتنام ... وتخطب .. وتتزوج .. وتتناسل .. في كنف العائلة القبانية ..

أولاد القطط في بيتنا الدمشقي كانوا أولادنا ..

وكانت أمي ترضعهم من حليبها .. وتغسلهم في الحمام معنا .. وترسلهم إلى المدرسة معنا ..

لون العينين :

لون سماء دمشق أيام الصيف .

المهنة :

عاشق .

الحالة الاجتماعية :

عاشق .

الشهادات :

ليسانس في العشق .

العلامات الفارقة :

ذبحة قلبية بسبب الشعر ..

الإقامة الدائمة :

على غمامة مسافرة بين الخليج والمحيط ، تخاف أن تقترب من الأرض ،

حتى لا يلقى القبض عليها ، بتهمة الطفولة ، أو بتهمة الصدق ..

السجل العدلي :

محكوم عليه غيابياً من كل المحاكم العربية بتهمة إصدار ثلاثين كتاباً في الحب .. اعتبرتها النيابة العامة ضد أمن الدولة ، لأن الدول العربية تخاف أن يداهمها الحب .. فتتعرقل حركة السير .. وتزدحم
الحدائق العامة ومقاهي الرصيف بالعشاق .. وتمتلىء أكياس البريد برسائل الحب .. وتنشغل التليفونات بأصوات المغرمين والمتيمين ..
وتزدهر تجارة الورد .. وتجارة الخواتم .. وتمتلىء الحقول بالسنابل ..
ومستشفيات الولادة بالحوامل .. وتتكاثر دواوين الشعر في المكتبات ..

وهذا كله لا يبهج الدولة ولا يسعدها .. ولا يحرك عواطفها .. لأن الدولة بالأساس عانس .. ولا تحب إلا نفسها ..

17

من أنا ؟

سأوفر عليكم الوقت ، وعذاب طرح الأسئلة ، وأقول لكم إنني شاعر ، قرر بينه وبين نفسه في الأربعينات ، أن يشعل اللغة من أول نقطة حبر حتى آخر نقطة حبر .. ويشعل الوطن الممتد من البحر إلى البحر .. ومن القهر إلى القهر ..

خريطة الأشياء لم تكن تعجبني .. فلخبطتها ..

ووجه أبي جهل لم يكن يعجبني .. فلخبطته ..

وإسكافيو الشعر العربي لم يكونوا يعجبونني .. فتعاركت معهم .. وأرحت قدمي من أحذيتهم الثقيلة ..

أردت أن أكتب شعراً يحمل توقيعي وحدي ... لا توقيع عشرة آلاف شاعر آخر يكتبون بالعربية والفرنسية والإنكليزية والتركية والأسبانية والصينية .

وحلمت أن أكتب قصيدة لحسابي الخاص .. دون أن أسحب أي قرش .. من ميراث العائلة .. وأموالها الطائلة الموجودة في (كتاب الأغاني) و (العقد الفريد) .. وبنك (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ..

18

من أنا ؟

أنا شاعر لا يزال يفتش عن الحرف التاسع والعشرين في الأبجدية العربية ..

أحاول التنقيب عن الماء .. في النصوص التي نشف فيها الماء من كثرة الشاربين ..

أحاول أن أخترع شجراً.. وقمراً .. وبساتين فاكهة ونخيل .. وكلاماً عن الحب إذا سمعه الرجال لم يسحبوا مسدساتهم .. وإذا قرأته النساء در الحليب في أثدائهن نهراً من الذهب .

الحرف التاسع والعشرون ، هو الكنز المسحور الذي مات ألوف الشعراء قبل أن يكتشفوه .. وسيموت ألوف من الشعراء على أمل اكتشافه .

قد يكون الحرف التاسع والعشرون موجوداً أو غير موجود .. وقد يكون حقيقة أو قد يكون كذبة .. وقد يكون كحجر الفلاسفة تشكيلا ذهنياً بحتاً ... ولكن رغم كل شيء ، لا يستطيع الشاعر الحقيقي إلا أن يفترض وجوده .. ويستمر في رحلة البحث عنه .

حروف الأبجدية الثمانية والعشرون هي آثار مكتشفة ، ومعروضة في كل المكتبات ، والمتاحف ، ودور المخطوطات ، لذلك فهي ممتلكات ثابتة وعصافير في متناول اليد ...

أما الشاعر ، فإن عينه مصوبة دائماً إلى العصافير التي لم يلتقطها بعد .. لا إلى العصافير التي التقطها ..

فإذا كان الناس العاديون يفضلون عصفوراً واحداً في اليد على خمسين عصفوراً على الشجرة .. فإن الشعراء لا يعترفون بهذا المنطق ، ويفضلون عصافير المجهول على كل ما يباع في سوق الطيور ..

19

الشاعر هو بائع خواتم الدهشة ..

بائع الزهور والانبهار ..

لا بائع الثياب القديمة ، والجرائد القديمة ، والعاديات . لذلك يتهم الشعراء دائماً بالعدوانية على التاريخ .. والتنكر لشجرة العائلة ، وتبديد أموالها .. وتخريب لغتها .. وتشويه قيمها ومثالياتها .. والخروج على النهج القديم ، والصراط المستقيم ..

وإذا كان الصراط المستقيم ، خطاً هندسياً صحيحاً على الخريطة المثالية والدينية والخلقية .. فإنه غير صحيح على الخريطة الإبداعية . فلا الموسيقى ، ولا الشعر ، ولا النحت ، ولا التصوير ، ولا الفن الروائي ، ولا الرقص .. ولا المسرح ، بوسعها أن تضيء وتتوهج في ظل الطاعة والامتثال والسير على الصراط المستقيم .

إنها تستمد شرارتها من قدرتها على العصيان ومخالفة أنظمة المرور ..

20

من أنا ؟

إنني شاعر تصادمي ..

شاعر ، إذا لم يجد من يتخانق معه ، يتخانق مع ورقة الكتابة .. ومع الفعل والفاعل والمفعول به ، ومع أخوات كان .. وتاء التأنيث .. ونون النسوة .

حتى حبيبتي ، إذا حاولت أن تكتم أنفاسي بشعرها الطويل .. خرجت بمظاهرة احتجاج ضد اللون الأسود ..

إنني لا أستطيع أن أكون مريحاً لا مع المرأة ولا مع الوطن ...

لكي أستطيع أن أكتب ، لابد من أن أكون مستنفراً إلى أقصى حالات الاستنفار .. وأن أكون متحفزاً .. ومتوتر الأعصاب كفهد إفريقي .

لا يمكنني أن أصير حمامة زاجلة .. أو نباتاً داخلياً للزينة .. أو سمكة في (أكواريوم) .

أفضل ألف مرة أن أكون سمكة قرش في البحر الأحمر .. على أن أكون سمكة سردين تؤكل بالزيت والليمون .

هل يعني هذا أن العدوانية من طبيعة الشعر ؟

بالأساس : لا

ولكن الشاعر العربي يجد نفسه منذ ولادته حتى موته .. نافش الريش ، عصبي الصوت ، كديك موضوع في الإقامة الجبرية يتخذ ليلا ونهاراً وضع الدفاع عن نفسه .. وعن دجاجاته .

إذن كيف يمكن للشاعر العربي أن يتصالح مع واقعه ؟

كيف يمكنه أن يختم فمه بالشمع الأحمر ؟..

كيف يمكنه أن يشعر بالطمأنينة .. وتجار الطيور من حوله يزايدون على ريشه .. وجناحيه .. وعذوبة صوته ، وقوة حنجرته ؟ ..

كيف يمكن أن يكون شاهداً على هذا الانتحار الجماعي العربي ، دون أن يبكي ، أو يصرخ ، أو يحتج .. أو يرمي نفسه من الطابق التاسع والتسعين ؟

كيف يمكن أن يبقى في صفوف المتفرجين ، يأكل (البوشار) .. وبزر الياقطين .. ويشرب المرطبات .. وألسنة النيران تلتهم المسرح والمسرحية ؟

كيف يمكن أن يبقى الشاعر مهذباً .. ولطيفاً .. ومعقولاً .. وكل ما حوله مشاهد متعاقبة من مسرح اللامعقول .

لذلك تبدو الخيارات أمام الشاعر العربي محدودة جداً ، فإما أن تتحول اللغة بين يديه إلى قنبلة موقوتة .. وإما أن تتحول إلى حذاء عتيق ..

21

من أنا ؟

أنا شاعر مزروع كالرمح في الزمن العربي .

أنا أدميه .. وهو يدميني .

أنا أحاول تغيير إيقاعه ، وهو يحاول تغيير صوتي ..

أنا أحاول أن أفضحه ، وهو يحاول استئصال حنجرتي .

أنا أحاول تحديه .. وهو يحاول رشوتي ..

أنا رجل يصحو ، وينام ، ويكتب ، على ضفاف الجرح العربي المتقيح منذ سقوط الدولة العباسية حتى اليوم .

الفرق بيني وبين سواي ، أنني لا أؤمن بالطب العربي ، ولا بالسحر العربي .. ولا أسمح لنفسي بالبقاء خارج غرفة العمليات أشرب القهوة .. وأدخن السجائر .. وأدعو للمريض بطول البقاء ..

إن غريزة الصراخ هي أقوى غرائزي ..

لذلك أرى نفسي في حالة صدام تلقائية ، مع كل (كاباريهات) السياسة العربية ، ومع كل المطربين ، والطبالين ، والزمارين ، والحشاشين ، والقوالين ، والقوادين ، الذين يشربون في النهار نخب الأمة العربية .. ويشربون في الليل دمها ..

أرى نفسي في حالة صدام يومية ، مع الذين يحترفون الزنى السياسي العلني على أرصفة الوطن العربي ، ومع هذا السيرك الكبير الذي ما زالت حيواناته المدربة تقرقش عظام الشعب العربي كما يقرقش السنجاب حبة البندق ....

وإلى أن تغلق أبواب كباريهات السياسة العربية ، ويستقيل مدربو الأفيال ، ومرقصو القردة ... يتوجب على الشعر أن يفضح تفاهة التمثيلية .. ورداءة الإخراج .. وكذب الممثلين .. وأن يستمر في مطاردة هؤلاء .. حتى يغادروا المسرح نهائياً ..

في هذا الإطار غير المريح ، وهذا الطقس غير المعتدل ، وهذه البحار التي لا سواحل لها .. أمارس السفر والكتابة ..

هناك بعض المسافرين من الكتاب والشعراء العرب ، قطعوا رحلتهم وعادوا ..

أما أنا فيبدو أن دوار البحر هو قدري .. والتصادم مع الديناصورات هو جزء من تاريخي ..

إن شعري ، هو محاولة لكسر جاذبية الأرض العربية .. ومغناطيسية الجاهلية العربية ..

إن السباحة ضد جاذبية الأرض عملية منهكة .. والخروج من منطقة نفوذ القبيلة ، وأفكارها ، وعاداتها ، وقناعاتها ، مهمة صعبة . ولكن من قراءة تاريخ الفكر العربي والعالمي يتبين أن الأدب الكبير كان دائماً مقترناً بالشهادة .

22

نزار قباني : لماذا أنت متناقض ؟

التناقض وحده هو الذي يميز الإنسان عن حجر الطاحون .. ويميز أعصابه عن قضبان السكة الحديدية ..

قضبان السكة الحديدية لا يمكن أن تتناقض أبداً .. إنها دائماً مستريحة .. وراضية .. ومنبطحة على الأرض بانتظار القطار الذي يأتي ..

أما الشاعر فإنه لا يجلس بانتظار أحد ..

لا تهمه القطارات التي تأتي ، وإنما القطارات التي لا تأتي ..

لا تهمه المرافيء التي لاحت .. وإنما المرافيء التي لم تلح بعد ..

لا تهمه المحطات المسماة .. وإنما التي لا أسماء لها ..

قد يبدو لكم صوتي متناقضاً ..

من قال لكم إنني شريط مسجل ..

أنا مجموعة من الأصوات المتداخلة .. قد تشبه صوت تنفس الحدائق .. وقد تشبه رنين الأجراس .. وقد تشبه انكسار لوح زجاجي .. أو صرخات قبيلة بدائية ..

كل هذه الأصوات هي صوتي . بخفوته وارتفاعه ، وبفرحه وكآبته ، بحضارته وبدائيته ، بقبوله ورفضه ، بعافيته ونزفه ..

صوت الشاعر ليس خطوطاً محفورةً على أسطوانة ، كلما عُزفت أعادت

نفسها . صوت الشاعر يحمل كل تموجات الحياة ، والمجتمع ، والتاريخ ، إنه آلة موسيقية لها عشرات المفاتيح ..

لماذا أنا متناقض ؟.

لأنني حتى الآن لم أشتغل جابياً في مؤسسة الكهرباء .. ولا محاسباً قانونياً في مديرية الإحصاء ..

لذلك تأخذ قصائدي مرة شكل الوردة .. ومرة شكل الجرح المفتوح .. فأرجو أن تحتملوا مناخاتي وتحولاتي .. لأنني أقدم لكم مجموعة من الانفجارات على شكل قصيدة .. ولا أقدم لكم بنود الموازنة العامة ..

هذا هو موجز لهويتي الشخصية .

ومن أراد الحصول على معلومات أكثر سرية عني .. فسيخيب ظنه ، لأنني مكشوف كالكف .. وليس عندي بضاعة للعرض .. وبضاعة للتهريب ..

إنني لم أتعاط أبداً القصيدة السرية .. وليس عندي مطابع تحت الأرض لتزوير العملة .. أو لتزوير الفكر ..

كسماء البحر الأبيض المتوسط أنا .. أمارس الشعر .. كما أمارس الحب في الهواء الطلق ..

ولأن الأساس في الحب في بلادنا أن يكون سرياً.. ولأن شيخ القبيلة يخفي تحت فكه الأيمن نصف دزينة نساء .. وتحت فكه الأيسر نصف دزينة أخرى .. فقد حاكمني شيخ القبيلة بتهمة العدوان على (ممتلكاته الخاصة) .. واتهمني بنشر وثيقة سرية بأسماء النساء الموضوعات في الثلاجة .. بانتظار نقلهن إلى غرفة الطعام الرسمية .. أو إلى فراش الحكومة ..

23

جمهورية الشعر :

أنا مؤسس أول جمهورية شعرية ، أكثرية مواطنيها من النساء .

جمهورية لا تشترط من زائريها الحصول على تأشيرة دخول مسبقة ، ولا تفتش حقائبهم ، ولا تطلب منهم شهادة صحية تثبت خلوهم من الأمراض السارية .. أومن الأفكار السارية ..

جمهوريتي هذه ، تختلف عن بقية الجمهوريات ، في أن الشعر فيها من الممتلكات العامة ، كالماء ، والهواء ، والحدائق العمومية ، وفي أن اللغة الشعرية في هذه الجمهورية ، لا تعرف التفرقة الطبقية ، أو العنصرية ، أو الثقافية .

أنا ضد كل (غيتويات الشعر) .. وضد تحويل القصيدة إلى طروادة تعيش في حصار تاريخي مع نفسها .. وضد أن يتحول الشعر إلى ناد مغلق كنوادي البريديج .. أو نوادي العراة .

سكان هذه الجمهورية لا يعانون من أزمة ماء ، ولا كهرباء ، ولا مواصلات ... ولا يدفعون ثمن تذاكرهم للحصول على مقعد في أمسية شعرية .

وسكان هذه الجمهورية ، يذهبون إلى الشعر دون كلفة ، وهم يلبسون القمصان الصيفية والشورتات .. ويجلسون معه على الأرض ، ويأكلون ، ويدخنون ، ويلعبون الورق ..

إنهم يذهبون إلى الشعر دون موعد سابق ، ولا يضطرون للوقوف ساعات في الطابور للتشرف في مقابلته ..

في جمهوريتي ، لا يشعر الناس بأنهم غرباء عن الشعر .. فقد صار الشعر طبيعتهم الثانية .

صاروا هم الشعر ..

24

جمهوريتي الشعرية هي جمهورية اشتراكية .

واشتراكيتي الشعرية ليست اشتراكية تنظيرية أو استعراضية أو شعاراتية .. ولكنها اشتراكية التنفيذ.

اشتراكية تحويل المواطن العربي فعلا وتطبيقاً إلى مجتمع تصبح فيه أرض الشعر موزعة بالتساوي على جميع السكان ، ويحصل كل مواطن فيه على حاجته من الشعر ، دون مقابل .

إنني لا أبيعكم أوهاماً..

وتصوراتي التي كانت تبدو لكم قبل أربعين عاماً شطحات حشاشين ، وأوهام شعراء ، أخذت شكلها على الأرض .. ونفذت كمشاريع التشجير، والري ، وتحلية مياه البحر..

ألستم معي في أن تحلية مياه الشعر .. لا تقل أهمية وإلحاحاً عن تحلية مياه البحر؟.

إن الاشتراكية الشعرية هي أساس تفكيري.

و (تأميم الشعر) هو منهج سأطبقه في أول فرصة أستلم بها السلطة .

سيكون أول عمل أفعله ، هو أن أؤسس تعاونية شعرية ، في كل حي ، يحصل فيها الناس على ديوان الشعر ، كما يحصلون على زجاجة الحليب .

إنني ضد الاحتكارية في الشعر، سواء احتكارية الملوك والخلفاء .. أو احتكارية الصالون .. أو احتكارية السلطة .. أو احتكارية (الإنتلجنسيا) ..

إنني لا أؤمن بالصالونات الأدبية ، ولا بالصفوف المخصصة للوزراء وزوجاتهم .. فقد علمتني تجربتي أن الذين يجلسون في الصفوف الأمامية هم آخر من يتذوق الشعر .. والذين يجلسون في الصفوف الخلفية هم الشعر كله ..

الشعر مطر يسقط بالتساوي على باريس ، وجنيف وسان فرانسيسكو ، وجزيرة كابري .. كما يسقط على الربع الخالي ، وبنغلادش ، وحارة (الغورية) وحارة (السقايين) ..

فالشعر هو هذه الجنسية الواحدة التي يأخذها جميع شعراء العالم تلقائياً ، سواء ولدوا في أعالي الهملايا .. أو في طاشقند .. أو في تانزانيا .. أو مكة ..

جنسية واحدة لكل شعراء العالم ..

وكل محاولة لربط الشعر بالعرقية ، أو المذهبية ، أو القبلية أو بالسلالات ، أو بالتقسيمات الجغرافية ، أو بالشرائح الاجتماعية والاقتصادية ، هي لون من ألوان التمييز العنصري لا يتفق مع أممية الشعر .

طبعاً، هذا لا يعني أن يكتب الشاعر الإنكليزي بالحبر الصيني ، وأن يلبس الشاعر العربي (الجينز) الأميركي ، وأن يتخلى الشاعر الإفريقي عن رمحه ، وطبله ، وقناعه الإفريقي الجميل ، ويتخلى الشاعر الأسباني عن

حزنه الأندلسي ، وقيثارته الدامعة .

إن ما أعنيه ، أن جوهر الشعر واحد كجوهر الماء ، وجوهر النار ، ولكن ما يختلف هو الشكل الذي يأخذه الماء ، والطريقة التي تضيء بها النار .

بكلمة واحدة ، إن دم جميع الشعراء في العالم هو واحد ، ولكن ما يجعل دم المتنبي غير دم بابلو نيرودا .. وغير دم بول ايلوار، وماياكوفسكي ، هو فصيلة الدم ، لا الدم نفسه .

إن شعراء العالم هم مجموعة من الأنهار ، لكل واحد منهم حركته ، وإيقاعه ، وينابيعه الخاصة ، ولكنها تتجه جميعاً لتصب في بحر واحد ، هو بحر الإنسانية .

هذا الهدف العظيم هو الذي يجعل صوت ويتمان ، كصوت ابن الفارض ، وصوت المعري كصوت إقبال .. وصوت الشريف الرضي كصوت عمر الخيام ، وصوت بودلير كصوت أبي نواس .

هؤلاء الشعراء ،على تباين أصواتهم ولغاتهم ومصادر ثقافاتهم ، يؤلفون مجتمعين ، سمفونية عظيمة واحدةً تصغي إليها كل العصور .

25

نزار قباني لماذا تكتب ؟

أكتب لأنني لم أجد طريقة أفضل للانتحار .

ولأنني لا أستطيع استبدال دمي بعصير البندورة ..

أكتب بالحتمية ذاتها التي ترتفع فيها السنبلة ، ويفيض البحر ، ويكتظ الثدي بالحليب ..

هل يجيبك ثدي المرأة ، إذا سألته لماذا هو مكتظ بالحليب ؟؟.

إنني أكتب لتصبح مساحة الفرح في العالم أكبر .. ومساحة الحزن أقل ..

أكتب لأغير طقس العالم .. وأجعل الشمس أكثر حناناً .. والسماء أكثر زرقة .. والبحر أقل ملوحة ..

إنني أكتب حتى أتزوج العالم ..

حتى أتكاثر ..

حتى أتعدد ..

حتى أصبح 150 مليون نزار قباني .

هذه هي خارطة طموحي . ولن أقبل أن تنقص جمهوريتي الشعرية مواطناً واحداً .. لأنني سأكون حزيناً إذا لم يأتي أحد أولادي إلى العشاء .. وسأقضي الليل بانتظاره ..

فأنا لا أستطيع أن أتناول الطعام وحدي .. أو أجلس مع القصيدة وحدي ..

أنا مصمم على أن أتزوج العالم ..

هناك شعراء يتزوجون العالم زواجاً دينياً ..

وشعراء يتزوجونه زواجاً مدنياً ..

وشعراء يتزوجونه زواجاً عرفياً ..

وشعراء يتزوجون العالم بالمراسلة .. ولذلك فهم لا ينجبون ذرية .

وهناك أخيراً شعراء يضاجعون أنفسهم .. وليست لديهم الشهوة للاقتراب من الجنس الآخر (الجمهور) .

أما أنا فشاعر طبيعي الميول ، قرر أن يتزوج الوطن العربي ، ويستولده ألوف القصائد والأطفال ....

لماذا أكتب ؟

لأن من بعض طموحاتي أن أغير جغرافية الوطن العربي بالكلمات ..

قد يأخذ ذلك وقتاً طويلا .. وعرقاً كثيراً .. ودمعاً غزيراً ..

ولكن نقطة شعر من هنا ..

ونقطة شعر من هناك ..

وينفجر الطوفان ..

26

نزار قباني . لمن تكتب ؟

لن أكون متواضعاً ، فأقول إنني أكتب لنفسي .. أو للعائلة .. أو (لأولاد

حارتنا) ...

ففي ذهني مخطط للشعر لا أتراجع عنه ، وهو مخاطبة أي شجرة .. أو غيمة .. أو سمكة .. أو هرة .. أو نجمة .. أو يمامة .. في الوطن العربي ...

وما دامت هناك سنبلة قمح ، تجد صعوبة في فهم الشعر ، فسأذهب أليها في الحقل ، وأقرأ لها الشعر قبل أن تنام ...

وما دام هناك قطة واحدة في شوارع الوطن العربي لا تهتم بالشعر ، فسوف أضعها على حضني ... وأمشطها .. وأدللها .. وأطعمها اللوز والفستق .. وأسمعها قصائد الغزل ، حتى تستيقظ أنوثتها ..

وما دام هناك تلميذ واحد في المدارس العربية .. يخوفونه بالشعر الجاهلي ، ويعاقبونه بحفظ بعض نماذجه التي لا تعصر .. ولا تكسر .. فسأبدد مخاوفه ، وأمسح دموعه ، وأجعله صديقي ، وصديق الشعر ..

وأخيراً ، ما دام هناك مواطن عربي واحد .. لم يستطع أن يحضر أمسية شعرية لي ، بسبب عرقلة السير .. أو لأنه لا يملك أجرة أوتوبيس .. فسوف أحمله على كتفي .. لأنني لا أستطيع أن أبدأ الشعر إلا به .. ولا أستطيع أن أنتهي إلا به ..

عيون الناس هي المرايا العاكسة التي أرى فيها وجهي وأتأكد فيها من صباي .

هي البوصلة التي تدلني على موقعي في الزمان والمكان .

وحين يقول لك شاعر أن العالم الخارجي لا يعني له شيئاً وإنه يكتب لنفسه ، وإنه سعيد بالحوار معها ..

فمعنى ذلك أنه يمارس الحب مع نفسه ، ويحترف العادة السرية .

فحين لا يشتهي الكاتب الآخرين .. ويكتفي بملامسة جسده ، والاحتكاك

بورقة الكتابة .. فهذا يعني أنه منحرف شعرياً ..

فالشعر بالدرجة الأولى فن الملامسة ...

فن ملامسة الآخرين ..

وبغير ملامسة الآخرين ، لا نستطيع أن نكتشف أبعاد جسدنا ، ولا أبعاد فكرنا .

فبالإنسان تبدأ المعرفة .. وبه تنتهي .

إن الشعر هو السفر داخل الإنسان .

والشاعر ، هو ذلك المسافر الأزلي في النفس البشرية .

والذين لا يجيدون فن العلاقات العامة من الشعراء ، يبقون في الحفلات وحدهم ، يتحاورون مع كأس الويسكي ، حتى تطفأ الأنوار عليهم ..

هؤلاء الشعراء الذين لا يستطيعون أن يتفاهموا مع أية نملة .. أو نحلة .. أو شجرة .. أو أوتوبوس في العالم العربي ، يتهمون الشعب العربي ، بأنه مجموعة من المجاذيب ، والبهاليل ، والأميين .. وأنه يحتاج كي يلحق بقصائدهم ، ويكتشف جمالياتها الجوانية ، إلى عشرين ألف سنة ضوئية ..

أما أنا فصبري قليل .. ولا أستطيع أن أنتظر الشعب العربي عشرين ألف سنة ضوئية .. حتى أتفاهم معه .

فلا أحد يدري إذا كنا بعد عشرين ألف سنة .. سنقرأ الشعر في الكتب ، أم أننا سنجده في الصيدليات على شكل حبوب .. كالتي يستعملها رواد الفضاء في رحلاتهم .

إنني حريص على أن أكون شاعر هذه اللحظة .. هذه الدقيقة .. هذا اليوم .. هذا الشهر .. هذا العصر .. هذا الزمن .. أما الأزمنة التي لا أعرف

شكلها ، فلا أفكر بها أبداً ..

إنني مقتنع بهذا الشعب العربي ، على ما هو عليه ، بأبيضه وأسوده .... وخيره وشره .. وجاهليته وحضارته ..

الشعب العربي هو قدري المرسوم على جبيني وأصابعي ..

ولما كنت لا أستطيع أن أطرد من جمجمتي 150 مليون عربي ... وأستورد غيرهم من سويسرا أو اسكانديناڤيا .. فسوف أبقى مرتبطاً بفصيلة دمي .. وتبقى قصائدي مرتبطة بالرحم الذي تكورت فيه ......

27

لمن أكتب ؟

في الكتابة ، أبحث عن شركاء يقتسمون معي بصورة عادلة ، فرحي وحزني ، عقلي وجنوني ، صحوي ومطري ، حناني وتوحشي ، مناخاتي الربيعية ومناخاتي الإستوائية .

في الكتابة أبحث عن كل أطفال العالم ، ومجانينه ، وفوضاوييه ، الذين لا يزالون يحتفظون بحد أدنى من البراءة والنقاء ، وعن جميع التلاميذ الهاربين من زنزانات التعليم العثماني والإنكشاري إلى براري الحرية.

أبحث في الكتابة عن مرضى الحساسية المفرطة الذين يجدون في الشعر خلاصهم ، وينامون على كتف القصيدة كما تنام السمكة على شاطىء رملي ، بعد صراع طويل مع الأمواج المجنونة .

أبحث في كتابتي عن كل النساء المدفونات كأسماك السردين في كتب عاد وثمود ، والمشنوقات على بوابات المدن العربية ، وعن الشفاه التي لا تستطيع أن تتكلم ، فأتكلم عنها .. وعن العيون التي لا تستطيع أن تبكي .. فأبكي عنها ..

وأخيراً ، أبحث عندما أكتب ، عن لغة تكون القاسم المشترك بيني وبين جيل عربي لا أعرفه .. وعن ملايين العقول التي لم تتشكل بعد .. ولكنها سوف تتشكل بصورة حتمية ، داخل الشعر .. وداخل الثورة ..

28

لمن الكتابة ؟

لا مجال للتردد في أنها للأسرة البشرية كلها ..

لخيرها .. لسعادتها .. لتقدمها .. وبغير هذه الرؤية تصبح الكتابة ، لعبة مهارات ، وتجريدات ذهنية ويدوية ، أشبه بأعمال الساحرات .. وألعاب السيرك ..

كل كاتب بالأساس ضد القبح . ومهمته الأساسية أن يحتج على كل الممارسات والأساليب التي تجعل العالم مرعباً .. ومظلماً .. وقبيحاً ..

ولذلك يتعذر على الكاتب ، منطقياً ، ومهنياً ، وأخلاقياً ، أن يكون مع القاتل ضد القتيل .. ومع الظالم ضد المظلوم .. ومع الخنجر ضد اللحم الإنساني .. ومع الفاشيست ضد الحرية .. ومع المشنقة ضد الرقبة .. ومع الشيطان ضد الله ..

وفي عالم كعالمنا ، يترنح فوق بحر صاخب من العنف ، والجريمة ، والقمع ، والممارسات العنصرية والبوليسية ..

في عالم كهذا العالم ، الذي يتحول فيه الإنسان يوماً بعد يوم إلى صرصار مهروس بآلة الحرب الاقتصادية والعسكرية والاستهلاكية ، لم يعد بوسع الكاتب أن يقفل باب الغرفة على نفسه مع زجاجة ويسكي ، معلناً حياده بين البحر والسفينة .. بين أسنان سمك
القرش .. ولحم المسافرين ...

29

نزار قباني ماذا فعلت ؟

أنا كاتب يحاول أن يفتح الدنيا بقاموس لا يتجاوز ألف كلمة ..

ليس عندي عساكر ... أو خيول .. أو أشعة ليزر .. أو صواريخ عابرة للقارات .. أو حاملات طائرات .. أو رادارات ..

إن قلبي هو الرادار الأكثر دقة وحساسية في التقاط الإشارات الصادرة عن الإنسان ..

لن أتفلسف عليكم كثيراً .. ولن أعقد الأمور عليكم ، لأن عندنا مخزوناً من العقد التاريخية المزمنة تكفينا إلى يوم القيامة ، فلا ضرورة لإضافة عقدة الشعر عليها ..

لن أفتح أمامكم حقائب غروري ..

ولن أضع الغليون في حلقي ، وأستعمل مصطلحات النقد الحديث ، لأثبت لكم أنني مثقف كبير ..

فالثقافة لا تتناقض مع بساطة التغيير ..

البساطة لا تعني أن تكون ساذجاً ، أو بهلولا .. أو سطحياً .. أو أمياً ....

فبإمكانك أن تكون بسيطاً وجميلا .. في نفس الوقت ..

والذين يكتبون أشعاراً وأقاصيص وأفلاماً ومسرحيات للأطفال ، يعرفون ما أصعب أن يكون الإنسان بسيطاً عندما يواجه اللغة .. ويواجه الطفولة ..

أنا شاعر بسيط .

أقولها بكل قوة ، لأنني أعتبر البساطة مصدر قوتي .

منذ عام 1944 ، وأنا أشتغل على معادلة لتحويل الشعر العربي إلى قماش شعبي يلبسه الجميع .. وشاطيء شعبي يرتاده الجميع . وقد نجحت .

منذ عام 1944 ، حلفت أن لا يبقى مواطن واحد في الوطن العربي يكره الشعر ، أو يستثقل دمه .. أو يهرب من سماعه أو من قراءته ..
وانتصرت ..

منذ عام 1944 ، حلمت باحتلال العالم العربي شعرياً .. وها أنا ذا قد احتللته ..

منذ عام 1944 ، وأنا أشتغل كالنملة .. وأجر الحروف والكلمات على ظهري .. لأصنع للشعر لغة ديمقراطية تجلس مع الناس في المقهى .. وتشرب معهم الشاي .. وتدخن السجائر الشعبية معهم ..

طبعاً .. لن يصل بي الغرور إلى الحد الذي أزعم به أنني اخترعت لغة ،

فاللغة ليست أرنباً يخرج من قبعة الحاوي ، ولكنني أسمح لنفسي بالقول أنني طرحت في التداول لغةً موجودةً على شفاه الناس ، ولكنهم كانوا يخافون التعامل بها .

كانت لغة الشعر متعالية ، متعجرفة ، بيروقراطية ، بروتوكولية ، لا تصافح الناس إلا بالقفازات البيضاء ، ولا تستقبلهم إلا بالقبة المنشاة ، وربطة العنق الداكنة ..

وبكلمة واحدة ، رفعت الكلفة بيني وبين لغة (لسان العرب) و(محيط المحيط) ... وأقنعتها أن تترك قصر أبيها المهجور ، والمليء بأرواح الموتى ، وتختلط بتلاميذ المدارس ، والموظفين ، والعمال ، والبائعات ، والممرضات ، وسائقي سيارات الأجرة ...

ليس هذا انتقاصاً من قيمة اللغة العربية ، فهي لغة جميلة ، ومدهشة ، وغنية غنىً لا حدود له .

ولكنها بحاجة إلى عملية تهوية .. وفتح أبواب .. ونفض سجاد .. ومسح زجاج .. لأن اللغة كالنبات والإنسان ، بحاجة يومية إلى الأوكسجين .. وإلا اختنقت بثاني أوكسيد الكاربون .

ليس هناك لغة في العالم لا تكبر ، ولا تصغر ، ولا تطول ، ولا تقصر .. ولا تحبل ولا تلد .. إلا إذا كانت لغة معدنية ، أو لغة من الحجر ..

ومسؤولية تهوية اللغة العربية ، وإعادة صباغها ، وتوزيع أثاثها .. تقع بالدرجة الأولى على عاتق الشعراء ، لأنهم يملكون بحكم طبيعة الشعر(امتيازاً خاصاً) يجعل ذنوبهم مغفورة ، وخطاياهم محتملة ، ومخالفاتهم قابلة للعفو ، لأنهم يعتبرون الأطفال المدللين في المنزل العربي .

الشاعر هو الطفل الوحيد الذي يسمح له في المجتمع العربي أن يلعب باللغة .

فقوانين القبيلة لا تحكم عليه بالموت شنقاً ، إذا أنزل الهمزة عن عرشها

.. أو قص ضفائر تاء التأنيث .. أو نسي أن يرسل ورداً إلى نون النسوة .. باعتبار أنه يحمل في جيبه جوازاً دبلوماسياً مكتوب عليه (يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره) .

لذلك ، فإن الشاعر الذي لا يستعمل إمتيازاته الدبلوماسية ، لاختراق جدار اللغة ، يعتبر خائباً في الصناعتين ... صناعة الشعر ... وصناعة الدبلوماسية ...

30

ما هي جدلية اللغة عندك ؟

اللغة تحتلني احتلالا شاملا.

تحاصرني من جميع الجهات .. حتى أن العالم عندي يأخذ شكل النقطة والفاصلة .

الزهرةُ لغة ، والنجمةُ لغة ، الشجرةُ لغة ، وجه المرأة لغة ، جسدها لغة ، ضحكتها لغة ، استدارة نهدها لغة .. العصافير ، الغابات ، دموع الأطفال ، وجوه المناضلين ، كلها لغات مختلفة أحاول اكتشاف رموزها ..

لا يمكننا أن نفهم العالم دون أن يكون بيننا وبينه لغة مشتركة .

أحياناً ، يبدو الإنسان عاجزاً عن التفاهم حتى مع المقعد الذي يجلس عليه ، حتى مع القميص الذي يلبسه ، والمرأة التي يمارس الحب معها ..

كل هذا يحدث ، بسبب سقوط جسر اللغة بيننا وبين الأشياء . وكل تناقضات العالم ، هي في أساسها تناقضات لغوية .

عندما تنكسر العلاقة بين القصيدة وبين قارئها ، فإن هذا يعني أن فراغاً لغوياً قد حصل ..

وعندما تفلس علاقة حب بين رجل وامرأة ، فهذا يعني أن اللغة التي يتكلمان بها قد انكسرت .

هل يمكن أن أعترف لكم بسر خطير ؟

وهو أنني أربح امرأة باللغة .. وأخسرها باللغة .

ومن المستحيل عليَّ إقامة علاقة حميمة مع امرأة .. لا يلعب الحوار دوراً رئيسياً بها .

حتى الجنس ، لا يستطيع أن يكون جنساً ذكياً بغير لغة ذكية تواكبه .... وتضيئه ..

هل هناك كلمات شعرية .. وكلمات غير شعرية ؟

أنا لا أؤمن بمثل هذه التصنيفات .

فالكلمات كلها بنات أصل .. وهي كالأثواب لا تأخذ شكلها النهائي إلا بنا .. ولا فضل لكلمة على كلمة ، إلا بقدرتها على استيعابنا ، ونقل تجربتنا بكل حرارتها وصدقها .

إن الامتيازات العائلية لا تطبق في المسائل اللغوية .. بحيث نتحدث عن كلمة راقية وكلمة أقل رقياً .. وكلمة شريفة وكلمة أقل شرفاً ..

فكل الكلمات في اعتقادي عذارى ، حتى تضاجع الكاتب ، فإما أن تخرج ناصعة الجبين ، وإما أن تتعهر.

إذن فالمسؤولية مسؤولية الكاتب ، لا مسؤولية الكلمات المكتوبة .
فالكلمات دائماً بريئة حتى يعاشرها الشاعر ، فإما أن تتحول بين يديه إلى أميرة .. أو إلى خادمة .

31

كيف تتشكل اللغة عندك . من أي أقاليم تأتي ؟

لغتي هي جزء من عشقي . بمعنى أن أي عشق جديد أدخله ، يحمل معه لغته الجديدة .

اللغة تأخذ حجم عشقنا ، فإذا كان عشقنا كبيراً ، كبرت اللغة .. وإن كان عشقنا ضيقاً ... ضاقت اللغة .

مفرداتي تولد في نفس اللحظة مع حبي كما يولد البرق والرعد معاً .

عندما يهاجمني الحب فأنني أكون مشغول به ، ولا يكون لدي الوقت لاختيار مفرداتي .

إنني لا أتقصد أي شيء .. ولا أخطط لأي شيء .. وأدخل امتحان الحب دون أن أذاكر دروسي جيداً .. ولهذا أنجح . فالذين يحفظون دروسهم عن ظهر قلب من العشاق يسقطون ..

العشاق الذين يفكرون بلغتهم أكثر من حبيباتهم .. يخسرون حبهم وحبيباتهم معاً ..

لماذا لا نترك لغة الحب بسيطة وطبيعية .. دون أن نسقط عليها تنظيراتنا

، وأيديولوجياتنا ، وعقدنا الثقافية ؟

العاشق العربي معقد بحكم الولادة والإنتماء .. فلماذا نضيف إلى عقده التاريخية عقدة جديدة ؟

إن العاشق العربي على امتداد التاريخ لم يكن أبداً سريالياً ولا رمزياً ولا تكعيبياً .. فهو يتكلم مع المرأة كلاماً (يناسب مقتضى الحال) ، كما يقولون في علم البلاغة .

الحب العربي واضح .. وساطع .. ورملي .. ومتوهج كالشمس ، أو كنصل السيف ..

فلماذا نستورد لغة الحب من الإسكيمو أو اسكوتلاندا ؟

والحب العربي حب هجومي وبركاني ، وفيه كل مشتقات الكبريت والفوسفور والبارود .. فلماذا نخصيه .. ونضعه في الثلاجة ..

إن لغة العشق العربي من أجمل اللغات ، وبمقارنتها مع لغات العشق الأخرى ، تبدو متفوقة ، ومتوهجة ، وديناميكية .

صحيح أن فيها شيئا من البداوة .. والعنف .. والذكورة .. والاجتياح ..والسادية في بعض الأحيان ..

إلا أن هذا ليس نقطة ضدها ، لأن فيها شيئا من حرارة رمالنا ، واشتعال شموسنا ، وهبوب رياح الخماسين في داخلنا .

إن كل لغة تحمل في بنيتها حالة الطقس ، وطبيعة الإنسان التي يتكلمها .. وتعكس في إيقاعاتها الإيقاعات النفسية للشعب ..

32

* أنت كتبت القصيدة الموزونة المقفاة، وجددت فيها . وكتبت القصيدة الحديثة ، وكتبت النثرية منها بتفرد .. كيف تتشكل القصيدة لديك ؟

ليس ثمة فنان يعرف قبل التجربة ، ماذا سيحدث معه .

القصيدة تتشكل أثناء العمل .. أو مع العمل ..

والنظامون وحدهم ، هم الذين يكتبون حسب الروزنامة ..ويعرفون أنهم في يوم 17 ذي الحجة .. سيكتبون قصيدة على البحر الطويل بمناسبة وضع الحجر الأساسي لبناء مصنع للعلف الحيواني ..

لذلك فإن شكل القصيدة ، يبقى غامضاً كالجنين في رحم أمه .. ولا يتبين جنسه إلا عند الوضع .

بالنسبة لي ، لا أتوقف كثيراً عند الشكل . وليس عندي حساسية ضد قصيدة النثر .. أو أي شكل شعري جديد . فالأشكال من اختراع الأسنان .. وبيده أمر تعديلها ، أو إلغائها إذا اقتضى الأمر ..

المهم أن يقنعني النص الذي أقرأه ، انه نص شعري ، بصرف النظر عن تفاصيله الخارجية .

33

كيف يهرب الشاعر إلى القاريء الدهشة ؟

ليس هناك وصفة عربية ، يستعملها الشاعر ليكون مدهشاً ... أو جذاباً..
أو قريباً من القلب ..

الكلمات كالبشر ..

بعضها سلفي .. وبعضها مستقبلي .. وبعضها عاقل .. وبعضها مجنون .. وبعضها لماح .. وبعضها غليظ .. وبعضها يبحث عن السترة .. وبعضها يبحث عن الفضيحة .. وبعضها يرقص السماح .. وبعضها يرقص الجيرك .. وبعضها يمشي كقطار الليل .. وبعضها يثقب السماء كطائرة الكونكورد ..

ولكي تكون مدهشاً – شعرياً على الأقل – لابد أن تحدث خللا في ترتيب الأشياء والكلمات .. والعادات اللغوية ..

لابد أن ترمي حجراً في بئر الكلام العادي .. وتحدث اضطراباً في الأبجدية .. وتبعثر أوراق الروزنامة ..

القصيدة الجميلة هي انتظار ما لا ينتظر ..

وبغير هذا العنصر التشويقي ، تصبح القصيدة ضيفاً ثقيلا يأتي ليتناول العشاء ، معنا كل ليلة في الساعة الثامنة ...

إن الشعراء المدهشين ، كأبي نواس ، ورامبو ، وبودلير ، والمتنبي كانوا لا يجيئون أبداً إلى العشاء .. وإذا جاؤوا ، فبعد شهور أو أعوام من وضع المائدة ..

وكما في النساء .. كما في الشعر ..

فالمرأة التي وعدت ولم تحضر .. أجمل بكثير من امرأة وعدت .. وحضرت ..

وكذلك القصيدة التي تتركني غارقاً في دم دهشتي .. هي أهم بكثير من القصيدة التي تأتي .. وهي تلبس في معصمها ساعة سايكو ..

34

نزار . أما انتهى نهمك إلى الكتابة ؟

عندما يتعلق الأمر بوظيفة لا إرادية ، كالدورة الدموية ، والتنفس ، والجوع والعطش ، فإن الإنسان لا يملك السلطة ولا القدرة على إيقافها ..

وشهوة الكتابة هي إحدى هذه الشهوات الجامحة ، الجارحة ، التي لا يمكن للكاتب أن يقلع عنها ، كما يقلع عن تدخين السجائر ، ومعاقرة الخمرة ، أو معاشرة النساء ..

الكتابة تغير تركيب الدم ...

تجعله من فئة نادرة لا تشبه فئات الدم الأخرى .

تجعل دمنا بنفسجياً ... أو برتقالياً ... أو ذهبياً ... أو تجعله أشبه بماء الورد ، حسب كمية العشق الموجودة فيه ...

ومن المستحيل ، واقعياً ، وشعرياً ، وطبياً ، على أي شاعر ، أن يغير

تركيب دمه ، ويجعله ماءً مقطراً ..كماء إيفيان وفيشي ..

إنني لا أستطيع أن آخذ إجازةً من دمي ومن شعري إلا إذا صار دمي ماءً ..

لا أستطيع أن أقنع طفل الكتابة أن يخرج من الغرفة .. ويلعب في الشارع ..

لا أستطيع أن أطرده ، لأنني بغير ضوضائه ، وفوضاه ، ونزوات التحطيم والتخريب لديه .. لا أستطيع أن أعيش ..

لهذا ترونني باقياً في الكتابة .. ومتشبثاً بالورقة كما يتشبث الرضيع بثدي أمه .

فحين يموت حماس الكاتب ، وتعجز شهوته عن اقتحام الورقة ، فهذا معناه أنه أصيب (بالعِنة الكتابية) . وعندئذ لا يبقى منه جدوى ولا نفع لإبداع شيء ما .. أو لإنجاب شيء ما ..

بالنسبة لي لا تزال شهوتي للكتابة شهوةً مفترسةً .. ولا أفكر في إتباع ريجيم خاص ، بوقف شهيتي للشعر .. أو شهيتي للحب ..

يقول القديس يوحنا :

" إن علينا جميعاً أن نكون رجال رغبة .. أي رجالا لا يكتفون " .

وأنا من حزب القديس يوحنا .. أي من حزب الرجال الذين لا يكتفون .

ماذا يعني الاكتفاء في الشعر ؟

إنه يعني أن تكون بنصف معدة .. أو بنصف شهوة .. أو بثلاثة أصابع ..أو بربع قلب ..

كلمة إكتفاء مقترنة بذهني بكلمة فقر دم .. أو ببطاقة التموين التي توقفك

بالطابور عشر ساعات ، للحصول على فخذ دجاجة ..

في الشعر ، لا يمكن تطبيق نظام التموين والتقشف وشد الحزام . فإما أن أحصل على دجاجة كاملة ، وإما أن أشنق نفسي ..

عندما رأيت فيلم (الفك المفترس) أعجبت كثيراً بهذا الحوت الهائل الذكي ، المفتوح الشهية ، الذي يبتلع البحر ، والمراكب ، والسابحين ، وغالونات البنزين الفارغة ، ويلتهم بقابلية مدهشة جميع مشتقات اللون الأزرق ..

وفي لحظة من اللحظات ، تمنيت أن أكون الحوت (جوز) الذي لا حدود لشهوته .. أو لشاعريته ..

فيما يتعلق بالإكتفاء ، ليس كل الرجال متشابهين ، فمنهم من يكتفي برضاء ربه .. ومنهم من يكتفي برضاء رئيسه .. ومنهم من يكتفي برضاء زوجته ..

أما الشاعر ، فهو طفل يريد أن يمتلك كل الأشياء الممكنة وغير الممكنة . وحتى حين تدخل الأشياء في حوزته ، فإنه سرعان ما يضجر منها .. ويتجاوزها إلى جزر خرافية لم يكتشفها بعد ..

إن الرجل هو رجل القناعات التي لا تقتنع ..

ورجل الأسئلة التي لا أجوبة لها ..

إن أهميته تكمن في قدرته الدائمة على الضجر ..

35

ما هي شروط الحداثة في الشعر ؟

وهل تعتقد أن الانفتاح على تيارات العصر وحده كاف لخلق الشاعر العظيم .. أم أنه لابد من قتل القديم نهائياً ؟

-- خطأ كبير أن نتصور أن الحديث لكي يكون حديثاً ، لا بد له من ارتكاب جريمة قتل .. ضد السابق له زمنياً ..

فمثل هذا التصور ، سيجعل التاريخ مقبرة .. أو مذبحة .. ولا ينجو في النهاية أحد ..

إن الحداثة طابور طويل جداً ، يقف فيه الشعراء في أمكنتهم التي يحددها التاريخ . ولا يمكن في هذا الطابور أن (يطحش) أحد على أحد .. أو يأخذ أحد مكان أحد .. لأن التاريخ يراقب الطابور جيداً ،
ويعرف مراتب الشعراء جيداً ، ولا يسمح لأحد بالغش والاحتيال ..

الشاعر العظيم لا يأتي من العدم ، ولا من المصادفة . فالمصادفات قد تحدث على طاولة القمار ، ولكنها لا تحدث في الشعر ..

وليس الشاعر هو الذي يقرر أنه عظيم .. أو حديث .. أو خطير .. فعظمة الشاعر ، أو حداثته ، أو خطورته ، يقررها الوجدان العام ، وتحكم فيها محكمة شعبية لا تقبل الرشوة ولا الابتزاز .

هذه المحكمة الشعرية الشعبية ، هي وحدها التي تستطيع أن تأخذ الشاعر إلى المجد .. أو تأخذه إلى السجن ..

36

ما رأيك بقصيدة النثر ، وبما يقال من أن لها جذوراً في التراث العربي القديم . كيف تنظر إليها في الحاضر والمستقبل ؟

-- قصيدة النثر هي مصطلح جديد لمفهوم قديم .

إنها موجودة منذ أن أدرك الإنسان ، أن العبارة الواحدة ، يمكن أن تقال بعشرات الصيغ ، ولها عشرات الاحتمالات .

إحتمالات الكلام لا نهائية . ومن هذه الاحتمالات (قصيدة النثر) التي نجد لها أصولا في الكتب المقدسة ، كما في سورة (مريم) ، وسورة (الرحمن) ، وفي قصار السور القرآنية ، كذلك نجدها في نشيد الإنشاد ، وفي المزامير .

إنني شخصياً لا أجد قصيدة النثر غريبة عن ميراثنا ، ولا عن ديناميكية اللغة العربية ، التي تتفجر بملايين الاحتمالات .

وفي هذا العصر المتطرف في ليبيراليته ، وغضبه ، وتطرفه ، وملله ، وتحولاته ، تبدو قصيدة النثر ، وكأنها الجواب المناسب لما يريد العصر أن يقوله ..

ومع كل التحولات والخضات والزلازل ، التي يتعرض لها الفكر العربي في هذه الحقبة ، أتوقع أن تكون قصيدة النثر هي قصيدة المستقبل .. لأنها الأشجع .. والأكثر حرية ..

37

* حديثك عن قصيدة النثر ، يغري الجميع بطرق أبوابها ، وبخاصة طلاب المدارس الثانوية . ألا تخشى من إعطاء هذه الفتوى على مستقبل الشعر العربي ؟

-- مستقبل الشعر العربي يكون بدخول المغامرة ، لا بالجلوس في (مقهى تنابلة السلطان) ...

كل عمل عظيم كان في الأساس مغامرة .

النبوءة مغامرة ، والثورة مغامرة ، والحب مغامرة ، واكتشاف أمريكا مغامرة .. وهبوط الإنسان على سطح القمر مغامرة .. وكتابة القصيدة ، بشكل مختلف ، هي مغامرة المغامرات .

إنني لا أخاف على القصيدة من الخروج في الليل وحدها ، ولكنني أخاف عليها من الجلوس خلف الأبواب المغلقة .. إلى أن تصبح عانساً ..

إنني ضد سجن القصائد .. مثلما أنا ضد سجن النساء ..

القصيدة يجب أن تعطى حرية التجول .. لأن وضع رجليها في (حذاء صيني ضيق) على نحو ما يفعل الصينيون بأرجل بناتهم .. فيه تشويه لأنوثة الأنثى ، ولأنوثة القصيدة ..

إن الحرية لا تخيف . ولكن العبودية وحدها هي التي تخيف ..

ثم إن بعض الشعوذات الشعرية التي تظهر من حين إلى آخر ..وبعض المشعوذين الذين يظهرون على الأرض كالطحالب ، ليست سبباً كافياً

للتشكيك بالحرية .. أو لإعلان الأحكام العرفية في وجه كل كلام جديد .. فالأحكام العرفية في الأدب هي دائماً ضارة .

إنني لا أسمح لنفسي ، ولا أستطيع ، أن ألغي بمرسوم (قصيدة النثر) لأنها بدعة .. أو (تقليعة) .. أو شكل طاريء وهجين .. لم يعرفه تاريخنا الأدبي ..

إن تاريخنا الأدبي لم يعرف المسرح ، ومع ذلك لم يقل أحد أن المسرح العربي الذي نشاهد ، هو مسرح طاريء وهجين .. وليس له سابقة في تراثنا .

والرسم والنحت اللذان اقترنا دائماً في المخيلة العربية بالحرام والكفر .. لم يعودا اليوم كفراً .. ولا حراماً ..

فلماذا نعتبر قصيدة النثر خارجة على القانون ؟

قد يكون ثمة اعتراض على تسميتها .. ولكن ماذا تهم التسميات ؟

المهم أن شكلا من أشكال الكتابة قد انتشر ، وصار له كتابه وقراؤه .

إن الأرض تطلع فصائل من النباتات ، والأزهار ، لا أحد يعرف أسمائها ، ولا ظروف تكونها ، ولا خصائصها العضوية . ومع هذا لا تعترض الأرض عليها ، ولا تحتج . وإنما تتركها تواجه حياتها وقدرها . فإذا استطاعت الملاءمة مع التربة والمناخ ، بقيت واستحقت حياتها .. وإذا فشلت في التكيف .. ماتت ..

إنني لا أستطيع أن أدين قصيدة النثر ، لأن ليس لها ما يشبهها في الأدب العربي .

إن نظرية التشابه هذه تجعل الأدب مصنعاً كمصانع النسيج ، أو السيارات ، أو الأدوات المنزلية .. تخرج ألوف السلع المتشابهة .

الإبداع هو الخروج من التشابه . والقصائد العربية لا يمكن أن تظل إلى

أبد الآبدين تسحب على آلة (الستنسل) .. كالبلاغات الحكومية .. والنشرات التجارية ..

إن قصيدة النثر .. هي قصيدة رفضت المرور على الآلة الناسخة .

وأنا أحترمها من أجل ذلك .

إن نبوءتي عن مستقبل قصيدة النثر ، تنسجم مع الطموحات الثورية للإنسان العربي ، فكما بدأ الإنسان العربي يتململ من شروطه الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، فمن الطبيعي أن يتململ من شروطه اللغوية .. والتعبيرية ..

إن الكتابة على البحر الطويل لا تعني أنني مع القومية العربية .. وكتابة القصيدة الحرة أو النثرية .. لا تعني أنني ضدها ..

فكم من قصيدة موزونة ومقفاة كانت مؤامرة حقيقية على الوطن .. وكم من قصيدة حرة أعادت إلى الوطن اعتباره .

إن القومية الحقيقية هي قومية الخلق والإبداع .

المبدع هو الوطني الحقيقي . والخائن هو الذي يكتب قصيدة خنفشارية .. ولو كتبها عن قضية فلسطين ..

38

موسيقى الشعر .

موسيقى الشعر هي البحر بشكله المطلق ، أو الماء بشكله المطلق ..
والأوزان هي عناصر في تركيب الماء .. وليست كل الماء ..

موسيقى الشعر ، هي شيء أكبر من الوزن والبحر والقافية .

واللذين يتصورون أن علم العروض ، هو ضابط الإيقاع الذي لا يتعب ، ولا يشيخ .. ولا يتقاعد .. ولا يسمح لأي من الموسيقيين أن ينفرد أو يجتهد .. أو يتجاوز النغمة الأساسية ، يريدون أن تبقى موسيقى الشعر العربي في مرحلة الدوم – تاك .. أي مرحلة
التخت الشرقي .

ومثلما هناك ألوف الجمل الموسيقية التي تنتظر من يقولها ، كذلك هناك ألوف الجمل الشعرية التي تنتظر من يكتبها .

وكما للفقهاء حق الاجتهاد ، فإن للشعراء أيضاً مثل هذا الحق .

وليس الشعر الحديث في نظري سوى مجموعة من الاجتهادات ، أغنت الشعر العربي وجملته ، وأنقذته من الإقامة المؤبدة داخل الجملة الموسيقية الواحدة .

إن القصيدة الحرة هي اجتهاد ، وقصيدة التفعيلة هي اجتهاد ، والقصيدة الدائرية هي اجتهاد .. وقصيدة النثر هي اجتهاد ، ولا يجوز لنا أن نطلق الرصاص عليها بتهمة الخيانة العظمى ، أو بحجة أنها تقول كلاماً ليس له سند أو شبيه في كتب الأولين ..

إن من مصلحة القصيدة العربية أن تترك باب الاجتهاد مفتوحاً .. وإلا

تحولت إلى قصيدة فاشستية .. أو إلى قصيدة من الخشب ..

عندما أقرأ شاعر من الشعراء ، فإنني لا أهتم بما يقوله ، بقدر ما أهتم بكيف يقوله .

فكل شعراء العالم ينفعلون بذات الطريقة ، ولكن كل واحد منهم يعرض انفعاله بطريقته الخاصة .

إن فن الشعر هو أولا وأخيراً (طريقة عرض) . والشعراء الذين لفتوا نظر الدنيا إلى شعرهم ، هم الشعراء الذين عرضوا عوالمهم الداخلية ، بطريقة متفردة واستثنائية .

39

وماذا عن الوزن والقافية هل إلغاؤهما ممكن ؟

كنت دائماً أشبه القافية بالإشارة الحمراء .. التي تفاجيء السائق ، وتضطره إلى تخفيف السرعة ، أو التوقف النهائي ، بحيث يعود محرك السيارة إلى نقطة الصفر .. بعد أن كان في ذروة اشتعاله واندفاعه ...

ومثل هذه الوقفة المباغتة وغير المتوقعة ، تؤثر بغير شك على حركة السيارة ، وأعصاب السائق ، وسلامة المسافرين ..

هذا لا يعني أننا نطالب بإسقاط القافية أو إلغائها ، وإنما نرى أن تكون القافية موقفاً اختيارياً .. فمن أراد أن يتوقف عندها ، فله ذلك ، ومن أراد أن لا يتوقف ، فبإمكانه أن يواصل رحلته .. ولن يأخذه أحد إلى السجن ..

المهم أن يكون ثمة (تعويض موسيقي) للفراغ الناشيء عن إلغاء الوزن والقافية . فإذا استطاع الشاعر أن يقدم هذا البديل الموسيقي ، فسوف نصغي إليه بكل خشوع واحترام .

نحن لسنا متمسكين بالنموذج الموسيقي التاريخي .. ولا (بالطرب التاريخي) ..

الميكروفون بيد الشاعر ..

ولا شروط مسبقة مفروضة على حريته .

كل ما نطلبه منه أن يقنعنا بأنه يغني بصورة جيدة .. بصرف النظر عن الطريقة التي يغني بها ..

إن العصافير لا تتقيد بالنوتة الموسيقية المكتوبة ، ولا تلتزم بمقام واحد ، وإنما تدوزن حناجرها حسب ظروفها الحياتية .

فلماذا لا يكون خيار الشاعر كخيار العصفور ؟.

40

ما هي المخاطر التي تهدد القصيدة العربية الحديثة برأيك ؟

الخطر الكبير الذي يهدد القصيدة الحديثة هو العشوائية والمجانية وعدم التخطيط ...

إن الحداثة صارت مثل سفينة نوح ... من كثرة تشابه الأجناس .. وتداخل الأصوات ..

إنني أقرأ كل ما يقع في يدي من شعر حديث ، ولكن لم تتشكل عندي القناعة الكافية ، بأن هذا الشعر هو الشعر المطلوب لتأسيس المستقبل العربي .

إن شعراء الحداثة أرادوا أن يخلصوا الشعر من التناظر والتكرار ولعبة الخطوط المتوازنة ، فوقعوا في ذات المأزق . إنهم يتشابهون أسلوباً وأداءً ولغة كما يتشابه عشرون توأماً نزلوا كلهم من بطن واحد .. فإذا قرأت لواحد منهم أغنتك قراءتك له عن قراءة الباقين ... فكأنما الشعر الحديث كله هو قصيدة واحدة ؟. يوقعها مئة شاعر ، كما يوقعون البيان الختامي لمؤتمرات الأدباء العرب .

وهذه ظاهرة خطيرة لم تحدث حتى لشعراء القصيدة العمودية ، حيث كان لكل شاعر مذاقه ورائحته ، وإيقاعه الخصوصي ، فالمتنبي كان منفرداً .. والبحتري كان منفرداً .. ولم يحدث في أي عصر من عصور الشعر العربي أن لبس جميع الشعراء بيجاما واحدة ... وناموا كلهم في سرير واحد ... وشربوا كلهم من (بيبرونة
واحدة) كما يحدث لشعرائنا اليوم ....

الخطر الأكبر الذي يحيط بالقصيدة العربية ، هو أن تقطع جذورها نهائياً مع الأصول الشعرية العربية ، وتصبح طفلاً بلا نسب ...

إن بعض شعراء الحداثة ، يطالبون بصراحة بإسقاط الماضي ، واعتبار تاريخ الشعر العربي كله ، مجموعة من الخرائب والأنقاض لا قيمة لها ...

وهذا كلامُ سائب . لأن التجديد ليس انقلاباً عسكرياً يلغي كل ما سبقه بمرسوم . فالشعر هو نهرٌ عظيم يتدفق من الأزل إلى الأبد .. ويتصل مصبه بمنبعه .. وليس في العالم نهر له مصب ، وليس له منبع ..

والخطر الثاني الذي يحيط بالقصيدة العربية ، هو أنها قطعت جسورها مع الجمهور العربي .. واختارت المنفى ..

إن الشعب العربي ، خارج لتوه من سراديب التخلف والسحر والشعوذة .. وعلى الشاعر العربي في نظري أن يساعد على إضاءة الطريق وجعل الشعر شمساً تشرق على كل الضائعين .. والخائفين .. والمستلبين ... والمعذبين في الأرض ...

ولعل الظاهرة اللافتة فيما يحدث على أرض الشعر ، هو أنه للمرة الأولى في تاريخ الشعر العربي ، تنقطع العلاقات المميزة بين الشعر العربي والجمهور العربي .. ويدير الجمهور ظهره للشاعر بعدما تعايشا طوال خمسة عشر قرناً .

41

الشعر العربي في أزمة ، أو في ورطة . ما هو في رأيك سبب هذه الأزمة ، وكيف يخرج الشعر العربي من المأزق ؟

ـ الشعر العربي واقع في أزمة ثقة مع الناس .. فقد رمى نفسه من الطابق التاسع والتسعين للقصيدة القديمة .. ولا يزال عالقاً بين السماء السابعة .. والأرض .

أفلت رجليه عن حافة الشرفة العتيقة .. ولم يجد أي شرفة بديلة يتعلق بها .

كل هذا يجري والناس (الذين تحت) يضحكون .. ويصفرون .. ويطلقون النكات على هذا المجنون الهابط عليهم من كوكب لا يعرفونه .. والذي يتكلم بلسان لا يعرفونه ..

إنني لست ضد الجنون والمجانين . فالجنون والإبداع قد يلتقيان .. ولكنني ضد القفز من نوافذ التاريخ دون مظلة .

لا أحد يستطيع أن يفرض على الشاعر الإقامة الجبرية في حفرة طولها متر .. وعرضها متر .. ولا أحد يطلب من الشاعر أن يظل مسجوناً داخل قضبان القصيدة العمودية.. ولا أحد يطلب منا أن نلبس عباءة الفرزدق، ونتجول بها في شارع الحمراء ..

نحن لسنا تاريخيين ولا من المنقبين عن الآثار . ولكننا نطلب من الشاعر أن يكون متفاهماً معنا على الحد الأدنى المطلوب في فن الشعر .

نطلب منه أن يكون صديقنا ، وشريكنا ، والناطق الرسمي باسم أفراحنا وأحزاننا ..

نطلب منه أن يكون معقولا حين يخاطبنا ، كما نحن معقولون حين نستمع إليه ..

نطلب منه أن يكون ديمقراطياً في جلسته .. وديمقراطياً في لغته .. وديمقراطياً في أسلوبه .. فلا مستقبل لشاعر يمارس الديكتاتورية والإرهاب اللغوي على من يقرأونه ..

نطلب من الشاعر الحديث أن يكون (طبيعياً) ، لأن النتاج الشعري الذي نقرؤه اليوم ، هو ضد الطبيعة .. وضد الناس .. وضد نفسه .. وضد النظام الشعري ..

أقول (النظام الشعري) لأن أي حركة ليس لها نظامها الخاص ستنتهي لا محالة إلى السقوط . وليس صحيحاً أن حركة الشعر الحديث هي ثورة ..

إن أي ثورة حقيقية تحمل نظامها معها .. وإلا كانت ثورة سائبة .. أو فالتة ..

والثائر الحقيقي ، سواء كان ثائراً سياسياً أو ثائراً أدبياً .. لابد أن يحمل

تصوراً لشكل المستقبل . لأن كل شكل هو نظام .. وبغير هذا النظام تصبح الثورة والقصيدة عملا من أعمال الفوضى ، والتسيب ..

42

عن القراءات الشعرية

عندما ألقي شعري ، يقرع قلبي بعنف ، كما تقرع الطبول في الأدغال الإفريقية .. وينتابني وجع السيف الخارج من غمده .. ووجع الغيمة الحبلى قبل أن تمطر ..

عندما أقرأ شعري ، تتغير فصيلة دمي ، ويصبح قلبي أكبر من كل الكواكب في المجموعة الشمسية .. وتصبح مساحة يدي خرافية الأبعاد ، كمساحة الحزن ، أو كمساحة الحرية .

عندما أقرأ شعري ، أصبح إنساناً لا ينتمي إلى كوكب معين .. أو جنس معين .. أو حقبة حضارية معينة ..

أصبح كل الحضارات وكل الأجناس .

كلما ذهبت لألقي قصائدي في مكانٍ عام ، أشعر أنني أعيد كتابتها للمرة الثانية .

إنني لا أقرأ نصاً ، بقدر ما أستولد حالة ..

من هنا يصبح إلقاء الشعر عملاً إبداعياً .. ورسماً بالإشارة والصوت .

فالقصيدة المكتوبة على الورقة شيء .. والقصيدة المكتوبة على جسد الناس شيءٌ آخر ..

القصيدةُ ، قبل أن تلاقي الناس ، ضفدعة اختبارٍ ميتة ، وما أن تلاقي الناس حتى تدب الحياة في أطرافها ، وترتعش ، وتقفز إلى الماء ..

عندما أكتب القصيدة ، وأنا جالسٌ في مكتبي ، أشعر أنني مركبة فضائية تسبح خارج جاذبية الأرض .

وعندما أصطدم بالبشر ، أعود إلى حقيقتي ، ويتحدد موقعي على خارطة الزمان والمكان ..

القصيدة ، قبل قراءتها ، قمحة محبوسة في داخل جارور ، وحين نزرعها تحت جلد الآخرين ، تصبح سنبلةً .. ورغيف خبز ..

إنني أحب قاعات الشعر عندما تضيق ..

الحب ، والشعر ، لا يرتاحان إلا في الأمكنة الضيقة .

ففي الأمكنة الضيقة تصبح الجدران أكثر اقتراباً .. وخشب المقاعد أكثر شباباً .. وتأخذ الكلمات أشكالاً خرافية .. وعيون حبيباتنا أبعاداً خرافية ..

في الأمكنة الضيقة أرى صوتي .. أعانقه .. أشم رائحته ..

وفي الأمكنة الضيقة ، تتغير هوية الأشياء ..

تصبح يد حبيبتي مكان يدي .. وفمها كتاباً أقرؤه قبل أن أنام .. ودبوسها المنسي على الطاولة ، حمامة لا تريد أن تطير ..

الأمسية الشعرية هي صورة شعاعية ، نعرف منها أننا لا نزال على قيد الحياة .. وتخطيطٌ كهربائي يثبت أن قلبنا يضرب بصورة منتظمة .. ولا يضرب في العدم أو في الفراغ .

الأمسية الشعرية ، تقريرٌ طبي ، نحصل عليه ممن حضروا أمسيتنا .. ونطمئن منه على صحتنا .

والشعراء الذين يخافون الذهاب إلى الأطباء ، ويهملون إجراء الفحوصات العامة ، ويرفضون قياس ضغطهم ، أو تحليل دمهم .. يبقون طول العمر فريسة القلق والوساوس .

الأمسية الشعرية هي المختبر والإختبار ..

وبه نعرف أن دمنا الذي سفحناه على ورقة الكتابة ، هو دم حقيقي ، لا بقعة كوكا كولا ..

الأماسي الشعرية ، هي المرايا التي يرى فيها الشعراء وجوههم ..

إن المرايا ليست اختراعاً نسائياً ، وليست المرأة وحدها هي التي تستفيد من استعمال المرآة . فالشاعر بحاجة إلى عيون الناس ليرى فيها وجهه الحقيقي بغير طلاء وبغير مساحيق ..

وعندما تتكسر مرآة الشاعر .. يفقد القدرة على معرفة مكان أنفه .. وشكل فمه .. ولون عينيه ..

بعد أربعين سنة من العمل الشعري ، لا أزال أدخل إلى قاعات الشعر ، بانفعالات تلميذ يدخل قاعة الإمتحانات ..

لا تزال القشعريرة إياها .. وجفاف الفم إياه ، وتسارع ضربات القلب إياه ..

بعد أربعين سنة مع الشعر ، لم أستطع أن أقهر انفعالاتي ، وأنظم ضربات قلبي ، وأتصرف بوقار عميد جامعة ..

هذا وجعٌ أنسانيٌ لا يمكن مداواته . ولا أعتقد أن أي فنان في العالم يمكنه

أن يستخف ، أو يلغي من حسابه لحظة المواجهات الأولى .

إن أمسياتي الشعرية ، لا تنتهي بالغرور أو الغطرسة كما تتصورون ، وإنما تنتهي بالبكاء ..

ففي أعقاب كل أمسية شعرية ناجحة .. أذهب إلى سريري .. وأبكي ..

وربما كانت دموعي هي الرسائل السرية التي أبعث بها إلى تلك العيون الطيبة ، التي لا أعرف أصحابها .. ولا أعرف أسمائهم .. ولكنني أعرف أنهم صنعوا من أهدابهم عباءة الشعر التي ألبسها.

في نهاية كل أمسية شعرية ، لا أنفش جناحي كديك ، وإنما أسأل الله ، أن يقويني ، ويشرح لي صدري ، ويحل عقدةً من لساني .. لأكون في المرة القادمة أكثر اقتراباً من هموم الناس ، وأدق ترجمةً في نقل أصواتهم ..

43

الجمهور ... الجمهور .. الجمهور

الجمهور العربي هو عاري الجميل .

هو تهمتي الكبرى التي أزرعها في عروة سترتي كالوردة ، وأتبختر كطاووسٍ إفريقي ..

إنني متهم بأنني أقيم علاقات جيدة جداً معه ..

ومتهم – وهذا هو أخطر الاتهامات – بأنني أكتب كلاماً يشبهه ..

إنني لا أروي لكم نكتة .. ولكن هذا بالضبط ما يقال عني . في مقاهي الثقافة ..

وإذا لم أكتب كلاماً يشبه الشعب العربي .. فهل أكتب كلاماً يشبه شعب تنزانيا .. وموزنبيق .. ومنغوليا .. وفولتا العليا ؟

الجمهور ليس سجناً .. ولا مشنقة .. ولا معسكر اعتقال ..

إنه حصانٌ عربيٌ ذكي .. إذا عرفنا كيف نتعامل معه ربحنا السباق ، وإذا لم نفهم طباعه ، رمانا على الأرض وداس علينا ..

الجمهور كلمة لا ترعب إلا المرعوبين .. ولا تعقد إلا المعقدين ...

والشعراء الذين سقطوا في معركة الشعر ، مثل السياسيين الذين سقطوا في الانتخابات العامة ، لا يجدون تفسيراً لسقوطهم سوى اتهام الحكومة بالتزوير .. والجمهور بالغباء ..

والحقيقة أن الجمهور العربي ليس غبياً ... ولا متخلفاً ...

ولكن الشاعر العربي الحديث هو الذي أضاعَ قدرته على التفاهم مع عصره ... أضاع كلمة السر ، فأقفلت المدن العربية أبوابها بوجهه ..

لا يزال الجمهور مصدر راحة لبعض الشعراء ... ومصدر ذعر لبعضهم الآخر . فالشعراء الذين لهم جمهورهم يعتبرون الأمر طبيعيا . والذين ليس لهم جمهور .. يعتبرون الأمر رذالة وقلة أدب ..

الشعراء الناجحون لا يفتحون فمهم ، والشعراء الكاسدون يرجعون سبب

كسادهم إلى رداءة الجمهور ، لا إلى رداءة بضاعتهم ..

والحقيقة أنه ليس هناك جمهور شعري .. وجمهور لا شعري ..

وإنما هناك شاعرٌ يلعب لعبة الشعر بشكل أصولي .. وشاعرٌ يغش في ورق اللعب .

هناك شاعرٌ يسافرُ آلاف الأميال ليلتقي بالآخرين ..

وشاعرٌ لا يستطيع أن يغادر الورقة التي يكتب عليها ..

هناك شاعرٌ يمارس السباحة في عرض البحر ..

وشاعرٌ يغرق في نقطة حبر ..

هناك شاعر يختار الزواج من العالم ..

وشاعر يختار أن يموت على دفاتره وحيداً .. فلا يبكي عليه ولد .. ولا يمشي في جنازته أحد ..

هناك شاعرٌ يعجبهُ التوالد والإخصاب .. وشاعرٌ يفضل العقم على كثرة الأطفال . والجمهور في معناه الحقيقي ليس سوى مجموعة الأولاد الذين يأتوننا عن طريق الشعر .. فيحملون اسمنا .. ويضمنون استمرارنا في الزمان والمكان ..

إن الشعر ، بأبسط معانيه ، هو صيغة لغوية نتفاهم بها مع الآخرين ..

قبلة .. لا بد لتنفيذها من وجود طرفين ..

وكما أنه من المستحيل على الإنسان تقبيل نفسه . فمن المستحيل على القصيدة أن تمارس الحب مع نفسها ..

وإذا قلنا أن الشعر هو لغة ، فمعنى ذلك أنه لا بد من وجود عدة أطراف لتتكون اللغة .. إذ ليس هناك لغة في العالم يتكلمها شخص واحد فقط ..

حتى لغة الطير ، والنحل ، والضفادع النهرية .. وصراصير الغابة ، لا تكتمل إلا بالشرط الإجتماعي .

إن الجمهور هو (الكرونومتر) الذي من دونه يتعذر على الشاعر أن يحدد موقعه من العالم ومن الزمن ، ولا يعرف إذا كان موجوداً في القرن الأول للهجرة .. أو في القرن العشرين قبل الميلاد ...

أرمي نفسي في ماء الجمهور ..

تتشكل حولي دوائر من الذهب .. والياسمين .. تسافر إلى ميناء البصرة شرقا ، وإلى ميناء وهران غربا ..

أغرق في دم الجمهور .. يغرقُ الجمهورُ في دمي ..

يصرخ زبائن مقهى الثقافة بعصبية ، ويقولون إنني أدغدغ أحاسيس الجمهور ، وألعب على أوتار تخلفه .. وأقدم له التنازلات ..

لا أهتم . وأواصل سفري نحو الشواطيء الأكثر شعبية ..

الشاعر الذي يقول لك أنه لا يحب النزول إلى المسابح الشعبية .. لأن الزحام مزعج .. والأطفال كثيرون .. والبحر ملوث .. والكافيتيريا ليس فيها بيرة دانمركية مثلجة .. إنما يكشف عن تخلفه هو في فن السباحة .. لا عن تخلف البحر ..

الجمهور العربي هو قدري .. كما أنا قدره ..

إنني لستُ – ولا أستطيع أن أكون – شاعراً إسكندينافياً ، ولا يعنيني أبداً أن يعطيني ملك السويد جائزة نوبل ..

الجائزة الكبرى يعطيني إياها هذا المواطن العربي الذي أكتب له دون أن أعرف اسمه .. تعطيني إياها أي نخلة في الصحراء تعلمت مباديء القراءة والكتابة على يدي ... ومباديء العشق على يدي ..

الجائزة الكبرى تعطيني إياها أية امرأة .. هربت إليها من خلال قضبان سجنها وردة ، وحمامةً ، وديوانَ شعر ..

لا أريد جوائز تقديرية من أحد ، ولا دكتوراه فخرية من أحد . فالجمهور العربي العظيم هو مكافأتي الكبرى ، وهو الذي يعطيني المناعة والقوة ، ويمنعني من السقوط جثة تحت أقدام أمير المؤمنين .

44

* أين أنت اليوم في شعرك الأخير ، من نزار قباني الأربعينات ؟ حدد لنا مسيرتك .

-- لا يمكن قياس الزمن الشعري بمثل هذه البساطة ، وبالطريقة ذاتها التي نقيس بها الأبواب والشبابيك والبلاط . الشاعرُ ليس بلاطة .. ولكنه موجةٌ تلغي نفسها باستمرار ، وحالةٌ لا تعترفُ بحالاتها السابقة .

تسألين عن نزار قباني الأربعينات ..

وأقول لك أنني لم ألتقي به منذ الأربعينات .. ولم أجلس معه .. ولم أكلمه منذ أن كان طالباً في كلية الحقوق بجامعة دمشق ..

ولعلكِ ستدهشين إذا قلتُ لكِ إنني لم أشتق إليه .

ليس هذا قلة وفاء مني .. أو قلة إخلاص (لنزار قباني الآخر) .. الإخلاص الوحيد في الشعر هو للشعر نفسه ...

وأنا ، وأقولها بصراحة ، لست وفياً لقصائدي المنتهية .. فالأزمنة الشعرية عندي ، تكسرُ بعضها بوحشيةٍ لا نظيرَ لها ..

كل قصيدةٍ مكتوبةٍ ومنشورةٍ هي بالنسبة لي قصيدةٌ مفقودة ...

ومن أجل هذا أعلن أني شاعر لا ذاكرة له.

صعبٌ أن أقول لكِ أين أنا من نزار قباني الأربعينات .. فبيني وبينه ألوف من السنوات الضوئية ..

هو ذهب في طريق ...

وأنا ذهبت في طريق ..

ملامحنا اختلفت .. وعاداتنا اختلفت .. وطريقة كلامنا اختلفت .. وتناقضاتنا ازدادت ..

هو لا يزال في مدرسة الفرح ، وأنا تخرجت بتفوق من مدرسة الحزن ...

على كل إذا قابلت نزار قباني الثاني .. فسلمي لي عليه .

أما عن مسيرتي الشعرية ، فأهم ما فيها هو أنني أرسيت قواعد الديمقراطية في الشعر .. وأدخلت الناس جميعاً في (تعاونية الشعر) ..

45

هل تعتبر نفسك نجحت أو فشلت ؟

لست أنا الذي يجيب على هذا السؤال ، ولكن ملايين القراء العرب ، الذين أحبوا .. وتزوجوا .. وأنجبوا أولاداً على يدي .. أو على يد قصائدي .. هم الذين سيجيبونك .

بعد ثلاثين عاماً في المختبر .. ثبت لي أن الحقيقة الشعرية ليست موجودة في الأنابيب .. ولا في الكيمياء .. وإنما هي موجودة في الإنسان ، وبكلمة أخرى إن الإنسان هو مصدر السلطة الشعرية ، يمنحها من يشاء .. ويحجبها عمن يشاء ..

وانطلاقاً من هذا التصور ، بدأت أعمل على تنقية أرض الشعر ، وتنظيفها من الحجارة ، والطحالب ، والمسامير والأملاح ..

وتدريجياً ، بدأت ملامح الأرض تتغير .. وبدأ الناس يأتون مع زوجاتهم وأولادهم ، ليقضوا عطلة نهاية الأسبوع عندي ..

كانوا في البدء عشرة .. ثم صاروا مئة .. ثم صاروا ألفاً .. ثم صاروا مليوناً ... يحملون جميعاً جنسية (جمهورية الشعر) التي أسستها يوم كنت تلميذاً في الثانوية في دمشق ..

هذه الجمهورية ، لا تطلب تأشيرة دخولٍ من القادمين إليها .. ولا تفتش حقائبهم .. ولا تفرض الرسوم الجمركيةَ على زقزقة العصافير .

هذه الجمهورية الشعرية المرفوعة الرايات ، هي جمهوريتي ..

كل يوم أتفقد رعاياها ، من مياه شط العرب إلى مياه المحيط الأطلسي ، حتى لأستطيع أن أدعي ، أنني تمكنت من توحيد العالم العربي (شعرياً)

قبل أن يتمكن أي زعيم عربي ، من توحيده (سياسياً) .

46

يلاحظ في مجموعتك الشعرية (إلى بيروت الأنثى مع حبي) نظرة سياحية تفتعل الحياد .. وتضع القاتل والمقتول .. الجاني والمجني عليه .. في سلة واحدة ..

-- هناك مقتولٌ واحد .. ومجني عليه واحد .. هو بيروت .

وأنا لستُ مدعياً عاماً ، ولا وكيل نيابة ، لأنظم ملفاً بالجريمة . إنني شاعرٌ رأى مدينة تسبى .. وتحرق .. وتذبح بشكل عبثي ومجاني وغوغائي .. فصرخ بطريقته الخاصة .

الصراخ لا جنسية له ...

لا يمكن أن يكون الصراخ يمينياً ، ولا يسارياً ، ولا ليبرالياً ، ولا ماركسياً ، ولا أميركياً ، ولا روسياً ...

وكذلك الدموع ، فهي لا تدخل في لعبة الأمم .

فالإنسان صرخ قبل أن تكون الأحزاب والتنظيمات والميلشيات .. وسيظل يصرخ دائماً أمام البربرية والوحشية والبشاعة .

الرؤوس المقطوعة ليست تفاحاً نصنفه إلى (غولدن) و(ستاركن) .
والدم الذي سال ، ليس قابلاً للتصنيف إلى نخب أول .. ونخبٍ ثانٍ ..

ونخبٍ عاشر ..

فلا تطلبي مني يا سيدتي تصنيف دموعي .. لأنني لا أؤمن بدموع تهطل في المصيطبة وبرج أبي حيدر .. ولا تهطل في الجميزة والأشرفية .

قد أكون سائحاً كما تقولين .. ولكن تجربة الحرب أثبتت أن (السياح) أمثالنا ، كانوا أشد وفاءً للبنان . وأكثر تعلقاً به من بعض من يحملون هويته . إنني أرفض أن تحددوا لي جغرافية حزني ، فالحزن العظيم هو أن أكون مع العالم كله ، لا مع أولاد حارتي فقط .

47

* اتهمت بأنك تعاملت في مجموعتك الأخيرة مع بيروت تعامل البرجوازي ، فلم تحاول أن تفهم ما حدث ، إلا من خلال ما حل بالمباني والأماكن الجميلة دون أي التفاتة إلى الإنسان الذي كان عذابه وألمه وفقره ، بعض أسباب ما حدث ؟ ..

-- كفى حديثاً عن (بورجوازيتنا) ... فأنتم البورجوازيون بالفعل والممارسة .. أما نحن فبورجوازيون بالإشاعة فقط ..

إن ثلاثة أرباع الويسكي المسروقة في الحرب اللبنانية شربها (الثوار) .. وثلاثة أرباع الخبز التي كانت تخرج من المخابز أكلها الثوار ..

أما الفقراء الذين تدافعون عن حزنهم ومعاناتهم وانسحاقهم ، فلم يدخل عليهم أحدٌ خلال السنوات العجاف برغيف خبز .. ولم يتذكرهم أحدٌ بقنينة ويسكي ، ليغسلوا أحزانهم ، لأن الويسكي هو مشروب المنظرين والقادة .أما الفقير فلا يموت إلا صاحياً .

نرجو أن تعفونا من نصائحكم ومواعظكم .. فهذه اسطوانة حفظناها عن ظهر قلب ..

إذا كان الحديث عن منقوشة الزعتر (ثمنها 50 قرشاً) وعن الكورنيش .. والأولاد الذين يبيعون عقود الياسمين ، وأوراق اليانصيب ، والعلكة .. هو في تصوركم بورجوازية .. فما أعدل بورجوازيتنا ..

إرجعي لمقدمة كتابي (إلى بيروت الأنثى) يا سيدتي ، وسوف ترين أنني لم أكن عاشق حجر وكونكريت .. ولم أكن أبحث عن البنايات ولكن عن البشر الذين سقطت البنايات على رؤوسهم .

إن (الخيمة) في الشعر العربي لا تعني نسيجاً من الوبر والصوف ، وإنما كانت تعني الإنسان الذي يجلس تحت الخيمة ، كانت تعني نسيجاً من الحم والدم والذكريات المشتركة بين الشاعر والأشياء ...

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا .....

48

* حين مات عبد الناصر ، رثيته .. ولم تندد بقتله . وحين كتبت عن بيروت رثيتها وذرفت الدموع عليها . ولكن دمع من ؟ إذا كان دمع المحب ، فهذا الدمع ليس كافياً .فإما أن تحب بيروت لأنها بيروت ، وهذا حب غائم ، وإما أن تحبها لأنها بيروت الناس الذين شقوا وتعبوا وقتلوا من أجلها .. أو لأنها بيروت الصالونات والمجتمع المخملي .. ما هو رأيك ؟

-- مرةً أخرى أقول لك ، أنني لست مخفر بوليس لأطارد قتلة عبد الناصر .. وقتلة بيروت .

أنا لست (أغاثا كريستي) .. لأجمع البصمات، وآخذ الإفادات ، وأستعمل الكلاب البوليسية .

أنا شاعرٌ مهمته أن يقرع جرس الإنذار ، ويسلط الأنوار الكاشفة على مسرح الجريمة .

عبد الناصر قتله العرب (أنتم تعرفون ذلك وأنا أعرفه) .. وبيروت أيضاً ..

فيما يتعلق بعشقي لبيروت ، أنا لم أتعود في حالات الحب الكبير ، أن أطلب من حبيباتي شهادة حسن سلوك مصدقة من مختار الحارة .. ولا أسأل إذا كانت المرأة التي أحبها مليونيرة .. أم على الحصيرة .. عاقلة أم مجنونة .. مسلمة أم نصرانية .. خريجة (المقاصد) أم خريجة (الليسيه) .. عذراء أم لها تجارب جنسية .. تحب الشعر العربي ، أم تحب الشعر الفرنسي .. تطرب لأم كلثوم ، أم تطرب لخوليو إيغليزيا ..

ما زلت أحبك يا بيروت المجنونة

يا حقل دماءٍ وجواهر ..

ما زلت أحبك يا بيروت القلب الطيب ، يا بيروت الفوضى ..

يا بيروت الجوع الكافر ، والشبع الكافر ..

ما زلت أحبك يا بيروت العدل ، ويا بيروت الظلم ،

ويا بيروت القاتل والشاعر ...

49

* ألا تشعر أنك في بعض قصائدك تتنكر للعروبة بحجة أنها ممثلة فقط بتجار النفط ، وتنسى العروبة بما هي الناس العاديون ، والبسطاء ، والطيبون ؟.

-- العرب عَرَبَان ..عرب يحكمون . وعرب محكومون ...

والعرب المحكومون ، على طيبتهم وبساطتهم ، لا يستطيعون أن ينتزعوا شعرةً واحدة من رأس السلطان . إننا نكذب على بعضنا إذا قلنا إن النفط في حياتنا لم يأخذ شكل القضاء والقدر .. وأنا يطيب لي أحياناً أن أتحرش بالقضاء والقدر ...

50

* منذ بروز شعرك في الأربعينات ، برز كثير من الشعراء ، ما رأيك بآخر التطورات التي طرأت على الشعر ، وأين أنت الآن من هؤلاء الشعراء ؟

-- إنني لا أقيس نفسي بأحد .. إنني أقيس نفسي بنفسي .. أما الشعر الجديد فهو شعر مجتهد ومواظب .. ولكنه لم يتخرج بعد ، وبانتظار تخرجه ، أقترح على شعراء الحداثة أن يقللوا كلامهم عن الشعر ، ويكتبوا شعراً .. فمواقف التنظير والتعليم والتفسير التي يقفونها ،

تدخلهم في سلك الكهنة .. لا في سلك الشعراء ...

ومأخذي على الشعراء الجدد ، أنهم لم يدرسوا الأرض التي يقفون عليها .. فهم يستعملون اللغة بشكلها السري .. والغيبي والتجريدي ، متناسين أن اللغة هي همزة وصل لا همزة قطع .. وأنها صك زواجٍ
مع الناس .. لا صك طلاق ...

إن ثمة جداراً من عدم الثقة بين الشعر والبسطاء ..

أنتم دائماً تتحدثون عن البسطاء . في مناقشاتكم تتحدثون عن البسطاء ، وفي تنظيراتكم ، وصفحاتكم الثقافية ، تختبئون خلفهم ، ولكنكم في الواقع لا تفعلون لهم شيئاً ،ولا تضيئون شمعة واحدة في ليل أحزانهم ..

إنكم بصراحة تحتقرونهم ...وتتاجرون بدمعهم وفجيعتهم ..

إذا كان هذا عصر الاشتراكية ، فهل الشعر الجديد هو شعرٌ إشتراكي .. ثم هل هو الشعر الذي يحتاج إليه المعذبون في الأرض ؟ ..

لا أعتقد أن الشعر الجديد - رغم كثرة دعاواه - إشتراكي .

إنه على العكس يمثل أعلى درجات الإقطاع الفكري ...

51

عدت للكتابة الصحافية .. هل هذا للتكسب أم إرضاء لنزعة ؟

-- إنني لم أكتب في حياتي للتكسب .

الكتابة عندي مادة نارية ، إذا لم أفجرها فجرتني ..

52

* المعروف أن فن الخلق عند الشاعر يتعارض والاختلاق الأسبوعي للموضوع .. ألا ترى تناقضاً بين الانسياب في الشعر ، والافتعال في الكتابة المبرمجة ؟

-- ومن قال إنني أتخلى في نثري الذي أكتبه عن الشعر ؟

إن مقالاتي الأسبوعية تحمل كل زخم الشعر ، وكل أسراره التكنيكية الصغيرة .. إنني لا أكتب مقالات صحافية .. وإنما أكتب (قصائد صحافية) ...

53

* شعرك القديم كان أقرب إلى العفوية ، وشعرك الجديد فيه بعض الإفتعال . هل هذا صحيح ؟

طبعاً غير صحيح ...

فشعري القديم كان شعر النمنمات والزركشات ..

أما اليوم فأنني أكتب بذات السهولة التي أتنفس بها ..

54

* يكشف من يغوص في شعرك ويتعمقه ، أنك تعالج موقفك من الحياة بطريقة صوفية ظاهرها العبث ، وباطنها الإيمان . إنك تذكرنا بلوعة المتصوفين وأشواقهم . ما رأيك ؟ .

-- بين العشق والصوفية نقاط التقاء كثيرة .. والعاشق الكبير ينتهي في آخر الأمر إلى متصوف كبير .

وإذا كانت غاية المتصوف هي الفناء في ذات الله والحلول فيه ، فإن غاية العاشق هي الفناء في ذات المعشوق والحلول فيه ، حتى تصير كلمة (يا أنتَ) على لسان المتصوف أو العاشق تعني (يا أنا ...) .

وإذا درسنا بدقة مفردات كبار المتصوفة ، كالنفري ، وأبي العتاهية ، وجلال الدين الرومي ، ومحيي الدين بن عربي ، ورابعة العدوية ، لاحظنا الشبه الكبير بينها وبين مفردات شعراء الغزل ..

كل واحد يعشق بطريقته ..

الدرويش يهز جسده هزاً عنيفاً ليصل إلى مرحلة (النرفانا) .. والشاعر العاشق يهتز على إيقاعات شعره ، وموسيقى أشواقه ، حتى يصير كوكباً يدور حول عيني حبيبته ..

إذن لا تناقض بين العاشق والصوفي ، فكلاهما في آخر المطاف يتحول إلى جمرة مشتعلة في نار الحب الكبير .

55

* خصب الصورة عندك كأنك ترسم بالكلمات . حتى أن الذي يتنقل بين قصائدك ، يشعر أنه يتنقل في معرض تشكيلي .. هل في بالك هذا الموضوع ، وأنت تكتب ؟

-- الشعر والرسم توأمان سياميان ملتصقان ببعضهما التصاقاً عضوياً . ومن الصعب علي أن أتصور شاعراً لا يرسم .. أو رساماً لا يحب الشعر ..

إنني أفكر لونياً .. وتسمية إحدى مجموعاتي الشعرية (الرسم بالكلمات) لم تكن مجازاً ، ولا تشبيهاً جميلاً .. ولا مصادفة .

أنا بالأصل رسامٌ ، انتصر الخيار الشعري لديه على الخيارات الأخرى ، فإذا سحبت من شعري الأخضر ، والأحمر ، والبنفسجي ، والأصفر ، يصبح شعري كمدينة نيويورك حين انقطع التيار الكهربائي ..

لذلك أحاول أن أتسلل بين الحين والحين إلى غرفة أولادي زينب وعمر ، وأسرق من حقيبتهما كراسات الرسم ، وعلب الألوان والفراشي .. وأبدأ (بالخرطشة) وتلطيخ أصابعي وملابسي بالصباغات ، علني أستعيد عرش الرسم الذي تنازلت عنه منذ أربعين عاماً ، ولا تزال عيني عليه ..

56

* يخيل لي من خلال متابعتي لشعرك المكتوب بخط يدك ، أو للغلافات التي تصممها بنفسك لمجموعاتك الشعرية ، كأنك تحاول أن تلعب بالفن لعبك بالشعر ... هل كنت تسعى لذلك ؟

-- نعم .. نعم .. عندما أضجر يخطر ببالي أن ألعب ..

أضيق بحروف المطبعة المتشابهة كحبات الفاصولياء والفول ، فأجلس شهراً بكامله ، أكتب قصائدي على الطبيعة ، أي كما كتبتها على المسودة الأولى .

أتجول سعيداً تحت أقواس الحروف العربية ، أدور الواو ، والراء ، والسين ، وأرش النقاط هنا .. وهناك .. كما ترش أم العروس ابنتها بماء الورد والملبس ليلة زفافها ..

بالخط أكتشف إنسانيتي .. كما أكتشف أن الحروف العربية ، كالحروف

الصينية ، لها كل مواصفات الحدائق ...

حرف المطبعة بارد ، وحيادي ، ويبيع نفسه للجميع .. فهو في الجرائد ، والمجلات ، والإعلانات التجارية ، والمعاجم ، والروايات البوليسية ، والكتب المدرسية ، والبيانات السياسية .

أما الخط ففيه ملامحي وشخصيتي ، وهدوئي ، وقلقي ، وطقسي الجميل ، وطقسي العاصف ، وطفولتي ، ورعونتي ، وصيفي وشتائي .

الخط هو الصورة الشعاعية للإنسان ..

وربما كان كتابي (قصائد متوحشة) أقرب كتبي إلى قلبي ، لأنني أخرجته من جسدي ، وعرفت فيه المخاضين ، مخاض التشكيل الداخلي ، ومخاض التشكيل الخارجي ....

57

* إلى أين يمتد الحب في الحلم ؟

ليس عندي مسطرة أقيس بها الحب أو الحلم . فكلاهما يستعصي على القياس .

لكنني أعرف أن الحلم كالعدسة المكبرة ، يجعل الأشياء خرافية ، وغير قابلة للتصديق ..

ولذلك يقف العشاق أمام حبيباتهم مبهورين .. ومسطولين فيحسبون فم

الحبيبة قوس قزح .. ونهدها شجرة دفلى .. ويدها سبيكة ذهب ..

وهم دائما على حق فيما يرون ويقولون .

فالحلم غير قابل أبداً للتكذيب ..

لذلك لا تحاول أن تناقش شاعراً عاشقاً في أحلامه ، لأنه يجلس في مركبة فضائية ، ويرى الأرض مرة بنفسجية ، ومرة لازوردية ، ومرة على شكل خاتم .. ومرة على شكل برتقالة .

58

كيف تنظر إلى التراث ؟

التراث هو الرحم الذي تربينا في داخله جميعاً ، وتشكلت فيه ملامحنا الثقافية الأولى ..

والذين يقولون إن لا تراث لهم ، كالذين يقولون إن لا أم لهم ..

التراث هو صديق ، نأنس إليه ، ونرتاح إلى مشورته ، وليس رجل بوليس يضع في يدينا الكلبشة .. ويفرض علينا الإقامة الجبرية ..

إنني أفهم التراث على أنه نهر عظيم شربنا كلنا من مائه ، ولا أفهمه على أنه ضريحٌ من الرخام ندفن فيه طموحنا ..

التراث ، مرحلة أولى ،كالطفولة مثلاً .لا بد من المرور بها للوصول إلى مراحل الشباب والكهولة والشيخوخة . ولا يمكن القفز فوق رقبة الزمن بشكل بهلواني ، كما لا يمكن قطع حبل السرة ... كما نقطع
حبل الغسيل .

وكما أنه لا يمكن البقاء إلى ما شاء الله في بطن أمهاتنا .. فإنه ليس من الممكن البقاء إلى ما شاء الله في بطن الخنساء ..

طبعاً ، أنا لا أسقط الحطيئة والفرزدق والنابغة الذبياني من شجرة العائلة ، فهم أجدادي ، شئت أم أبيت ، ولكنني بالتأكيد لا أطلب إذنهم وأضرب لهم تلفون ، كلما جلست لأكتب قصيدة عام 1982.

59

* أنت الشاعر الأكثر انتشاراً في الوطن العربي .. لماذا ؟

لأنني شاعر طبيعي . يكتب بلغة طبيعية .. ويخاطب بشراً طبيعيين ..

فإذا جاء الناس إليَّ فلأن الناس في بلادي يبحثون دائماً عن كلماتٍ تشبههم .تشبه شكل ابتساماتهم ، وشكل جراحاتهم ، وشكل أيامهم ..

لا تصدق أن قارئاً في الدنيا يتحمل البلف أو الغش .. أو يشتري شيئاً بالمصادفة أو بالإكراه ..

إنني لا أحمل جرساً .. أتجول في شوارع الوطن العربي ، داعياً الناس إلى قراءتي ..

إن قلبي هو الجرس الذي أحمله بين أضلاعي .. والناس في الدنيا كلها ، يسمعون جيداً رنين القلوب .. الناس هم الذين يركضون وراء الكتب .. وليست الكتب هي التي تركض وراء الناس . هل رأيتم كتاباً يخرج من واجهة مكتبة ، ويمسك قارئاً من سترته .. ويرجوه أن يشتريه ؟

لماذا أنا الأكثر انتشاراً ؟

هل سعة الانتشار تهمة يتوجب على الشاعر أن يردها أو يعتذر عنها ؟

عندما يكون محظوراً عليك في بلادك أن تتفوق .. أو تتميز .. فإن كل الأسئلة قابلة للطرح ، وكل نجاح يأخذ شكل التهمة .

أنا الأكثر انتشاراً لأنني لم أحترف التشخيص .. ولا أجيد طلاء وجهي بالمساحيق ، ولا أشتغل في فرقة (حسب الله) أو في أي تياترو آخر ..

لم أقسم الكلمة في حياتي إلى نصفين .. والقصيدة إلى نصفين .. والحقيقة إلى نصفين ..

الكلمة غير قابلة للقسمة .. وكذلك الحقيقة .

وكما لا يمكنني أن أقبل امرأة بنصف فمي .. كذلك لا يمكنني أن أكتب بنصف أصابعي ..

الكتابة هي فتحٌ ، واختراقٌ ، ومغامرة ..

والكاتب الذي يطلب بوليصة تأمين على أصابعه قبل أن يكتب .. يشبه ممثلة السينما التي تطلب بوليصة تأمين على ساقيها قبل أن ترقص ..

والشاعر ، الذي يخاطب الأمة العربية في هذه المرحلة الحارقة من

تاريخنا بالفوازير ، والكلمات المتقاطعة ، وبلغةٍ مسمارية لا يمكن تفكيكها ، هو شاعر هاربٌ من الجندية .. ويستحق الحبس في زنزانة مظلمة تشبه الزنزانة التي حبسنا فيها ..

حين تكون صادقاً مع نفسك ، ومع الناس ، فأنت واصل حتماً . إذا لم أستطع أن أوصل قصيدتي إلى الآخرين ، فإن الخطأ هو خطأي لا خطأ الآخرين . وعليَّ مراجعة أدواتي الشعرية لأكتشف موقع الخلل .

هذه هي المعادلة الشعرية التي أطبقها على كل ما أكتبه .

فالقاريء هو دائماً على حق .. لأنه شريك بالنصف في العمل الشعري وليس من حق الشاعر أن ينتهره ، أو يذله ، أو يسيء معاملته ، وإلا سقط مبدأ الشراكة .. وأفلست الشركة ..

عندما استقلت من السلك الدبلوماسي ، كنت أريد أن أتحدى كل من يقولون إن الشعر لا يطعم خبزاً ، وإن الشاعر إذا أراد أن يقف على قدميه فلا بد أن يشتغل سائساً لخيول السلطان ..

وها أنذا أقف على قدمي بكبرياء الشعر وحدها .. دون أن أشتغل سائساً عند أحد ..

60

* قلتَ سابقاً في عدة مناسبات أنك شاعر الـ **150** مليون عربي .هل في ذلك نوع من الافتراض المستند إلى ثقة عميقة بالنفس .أم في ذلك نوع من التأشير على حقائق أضافها شعر نزار إلى الواقع العربي ؟

-- ما قلتهُ هو ثقة بالشعر .. لا بالنفس ..

فأنا لم أطرق بجسدي أبواب 150 مليون عربي . الذي قام بالزيارة هو شعري ..

فحين يفتح الناس أبوابهم للقصيدة . فمعنى ذلك أن هذه القصيدة تحمل إلى حياتهم شيئاً .. أو تضيف إلى أعمارهم شيئاً ..

القصائد التي لا تغير أيام الناس ، ولا تفتح لهم طريقاً أو أفقاً .. ولا تنقل أصواتهم ، أو تترجم إنسانيتهم .. تبقى دائماً خارجَ الأبواب ...

هل تعرفون شيئاً عن غربة الدفاتر ؟

هل تعرفونَ وجع الأوراق التي لا تجد من يقرؤها ، ووجع القصيدة التي لا تجد إنساناً تمطر عليه .. أو تنام على ركبتيه ؟

إنني أذهب إلى الناس .. وأقرأ لهم شعري ، لأستريح من ألف رمح يثقبني .. لأنتزع عشرات المسامير من لحمي ..

ما أشقى القصيدة التي لا تتلى ..

إن طعمها في الحلق يصبح كطعم العصفور الميت ..

61

* يهاجمونك أيضاً لأنك تبيع عشرات الألوف من أعمالك الشعرية ... ويقولون إنك أصبحت ثرياً من وراء الشعر ؟ .

-- هذه قلة أدب مني .. فلا تؤاخذونني ..

ففي هذا الوطن ممنوع على الشاعر أن يشتري حذاء جديداً .. أو يلبس قميصاً نظيفاً ..

إذا باع الكتاب الناجح في الولايات المتحدة ، أو في فرنسا ، أو إنكلترا ،عشرين مليون نسخة ، دقوا له طبول الفرح ، وأقاموا أقواس النصر ..

أما إذا تجرأ شاعرٌ عربيٌ على بيع خمسة آلاف نسخة من كتابه .. أعلنوا الحداد العام ..

إنه ليشرفني أن أكون أول شاعر عربي ينهي أسطورة الشاعر الشحاذ ..

الشاعر العربي اليوم ، يقف على أقدام كبريائه وموهبته . وبينما كان الشاعر القديم حاجباً على باب الخليفة ، صار الخليفة حاجباً على باب الشاعر ...

أما ثروتي ، فهي بعد أربعين عاماً من النزف فوق الدفاتر ، لا تعادل ثروة السنكري الذي يصلح لنا الحنفيات في المنزل .. أو ثروة أصغر مقاول أو وسيط أو تاجر سلاح في هذا العصر العربي السعيد .

إنني أدفع أقساط مدارس أولادي ، وفواتير الكهرباء والتلفون ، والصيدلية ، والبقال ، بانتظام ، ولكنني لا أستطيع أن أنتقل مع حاشيتي ، وحريمي ، وسماسرتي ، وخدمي ، إلى الكوت دازور .. أو إلى جزيرة كابري .. أو إلى ماربيا .. ولاس فيغاس وهونولولو .. فهذه المناطق الخرافية تعطي تأشيراتها لدخول النفط .. لا لدخول الشعر .

62

* أصبح اسمك مقترناً بالقصيدة الأزمة . فكل كلمة تنشرها تحدث ردود فعل بين مؤيد ومعارض ، لماذا أنت وحدك دون سائر الشعراء تقف على حد الخنجر ؟

-- الحملات أصبحت جزءاً من جسدي حتى أدمنتها .. وفقدت الإحساس بها .

منذ عام 1944 وأنا أقيم بين أسنان التنين .

عنواني الدائم هو بين أسنان التنين .. ولا عنوان لي سواه ..

إرنست همنغواي كان يقول إن الكاتب الحقيقي هو الذي يقف على الخط الفاصل بين الحياة والموت . حين تريد أن تؤسس عالماً جديداً على أنقاض عالمٍ قديم .. فإن كل حجر يصرخ في وجهك .. وكل الأشجار المقتلعة تقف في طريقك .. وكل الدراويش يسيرون في مظاهرة ضدك ، لأنك قطعت رزقهم ، وأحرقت خيامهم ..

صدامي مع الدراويش مستمر .. دراويش الأمس انقرضوا .. أما دراويش اليوم فهم يلبسون الملابس التقدمية ، ويرفعون كذباً لافتات اليسار .. ويستعملون القاموس الماركسي .. وتعابير الواقعية الاشتراكية .. وهم عاجزون عن التفاهم مع عاملٍ واحد . أو مزارع واحد ..

63

* هل يضيق صدرك عادة بالنقد ؟ .

الصفعات هي الوجه الآخر للقبلات .. وتاريخي الشعري كله قام على لعبة المتناقضات هذه .

إنني لا أشعر إنني على قيد الحياة إلا حين تتساقط الحجارة على زجاج نافذتي .

في هذه اللحظة أشعر أن جرعة الشعر التي أعطيتها للناس بدأت تتفاعل في دورتهم الدموية .. وأن الزلزال الذي كنت أحتفظ به في داخلي قد انتقل إليهم .

عندما أنشر قصيدةً ولا يرجمونني بسببها .. أشعر أنني مريض ، وتبدأ حرارتي بالارتفاع ..

إن الشتيمة في العالم الثالث لا تعني أنك فشلت .. وإنما تعني أنك تفوقت ..

إن النقد مدرسة ، والشاعر يبقى دائماً تلميذاً لم يتخرج بعد .. وهو بحاجة دائمة إلى المزيد من المعرفة والمزيد من التحصيل .

وحين يقنع الشاعر نفسه بأنه أصبح إنسيكلوبيديا الشعر .. وهوميروس زمانه .. فاقرأ السلام عليه وعلى شعره ..

لكن النقد بصورة عامة في العالم العربي ، هو إفراز قبلي مرتبط بالغريزة والانفعال .. ومنسفٌ يؤكل فيه لحم الشاعر نيئاً ..

إننا نطلق الرصاص على كتاب الشعر .. قبل أن نقرأه ..

ونضرم النار في اللوحة قبل أن نراها ..

ونبصق على المسرحية .. قبل أن نشاهدها ..

النقد في بلادنا أو أكثره ، مذبحة ككل المذابح السياسية والطائفية ، يستعمل فيها أخطر أنواع الأسلحة ، وأقذر أنواع الأسلحة .

إنني أسمع جيداً من ينقذني بحضارة . أما صراخ المتوحشين فلا أسمعه ..

64

* اختلطت في عصرنا المفاهيم الإبداعية والمفاهيم السياسية ، وغلبت ربما الثانية على الأولى . فكيف نميز بين الشعر واللاشعر ، في زمن أصبح فيه النقد مرتجلاً وفوضوياً .. إذا لم نقل مزاجياً ..

- حين يأخذ الشعر شكل (الزفة) .. ويصبح اللباس المرقط معيار الشعر الثوري .. فاقرأ السلام على الشعر وعلى الثورة معاً .

إن الشعارات السياسية لا تغطي حيطان الشوارع العربية فقط ، وإنما صارت تغطي وجه الشعر .. بحيث صرنا نقرأ منشوراً سياسيا (مرشوشاً عليه شوية شعر ..) وقد دلت التجربة ، أن القتيل الوحيد في(مهرجانات الشعر المقاتل) .. كان الشعر..

إن المحتوى السياسي لقصيدة ، مهما كان مرتفعاً ونبيلاً ، لا يكفي لنجاحها في امتحان الشعر ..

فرب قصيدة سياسية أخذت علامة 100 على 100 في السياسة .. وأخذت صفراً في الشعر ..

إن الجمهور العربي ، هو جمهور شديد الذكاء .. بدأ يكتشف أن الصراخ ليس دائماً شعراً .. وأن (الكاسيتات) الملأى بالشعارات ، والعنتريات ، والديماغوجيات ، لم تعد تطرب أحداً ... وأن الصراخ
مهما كان موزوناً .. أو مقفىً .. أو بغير قافية أو وزن .. لا يمكن إذا لبس الكاكي أن يصبح شعراً ..

65

* الشعر الشاب يحاول أن يطرح نفسه بقوة كبديل في تيار الحركة الشعرية الجديدة . هل ثمة أصوات شابة تبشر بذلك ؟ أم أن معظم تلك الأصوات انجرفت في تيارات الشعارية والرمزية والطلاسم ، هرباً من الشعر بكل ما يعنيه من معنى ؟

- كما لا أحد يستطيع أن يمنع حصاناً من الركض والفوز في ميدان السباق .. فلا أحد يستطيع أن يمنع شاعراً موهوباً من أخذ مكانه في سباق الشعر ..

هذا حق طبيعي . وأنا مع كل حصان يركض بمهارة ، وحضارة ، وتناسق .

لكن الذي حصل أن بعض الخيول التي (تسللت) إلى الميدان ، لا تصلح إلا لتوزيع المازوت .. ونقل المحصولات الزراعية ..

وهكذا اختلطت الخيول الأصيلة .. مع الخيول الهجينة .. وضاعت الطاسة في حمَّام الشعر الحديث .

إنني أتابع السباق ، ولا أخفي إعجابي ، ببعض الخيول الشعرية المنفردة بحركتها ، وصهيلها ، وأناقة خطواتها ..

ومهما سادت الفوضى في ملعب الشعر الحديث ، فلا بد أن يأتي يوم ، لا يبقى فيه في الملعب ، سوى الخيول التي ترقص بإيقاع جميل ..

أما الخيول البطيئة الحركة ، والحديدية الحوافر ، والمترهلة الأجساد .. فستعود إلى مهنتها القديمة في توزيع صفائح زيت الكاز على البيوت ..

65

* فلسفتك في الحياة تقترب من الفلسفة الوجودية ، وأشعارك في المرأة ، تؤكد حرية الإنسان المطلقة .. كيف تفهم الحرية في عملية الإبداع .. وفي تحقيق الشرط الإنساني للمرأة ..؟

ـ حين أطلب الحرية للمرأة وللوطن وللكلمة ، فإنني أطلبها بمفهومها الشمولي والمطلق .. فليس هناك نصف حرية .. أو ربع حرية ، أو حرية بالتقسيط .

ففي العمل الإبداعي ، لا أسمح لأي سلطة أن تجلس على أصابعي ، وتملي عليَّ ماذا أكتب .. وكيف أكتب . فالقصيدة التي لا تستطيع أن تتجول في كل الاتجاهات ، هي فأرةٌ في مصيدة ..

والحرية التي أطلبها للمرأة هي حرية ممارسة خياراتها وإنسانيتها .. وتركها في مواجهة مسؤولياتها ، دون أن يُقطع رأسها ، ويُرمى في صندوق الزبالة ...

والذين يقولون إن حرية المرأة فيها خطورة .. أقول لهم إن حرية الرجل ، في سلوكه وممارسته عبر التاريخ ، كانت أشد خطورة ..

فكل حروب العالم ومذابحه ، معلقة برقبة الرجل .. وليس ثمة امرأة واحدة أشعلت حرباً .. أو دمرت مدينة .. أو أطعمت أسراها للحيوانات المفترسة ..

باختصار إن الحرية هي كالسماء ، والليل ، والبحر ، لا تقبل التقسيم ، ولا التنازلات ، ولا المساومة ..

67

* رغم كل شعبية نزار قباني ، ما زال بعض النقاد يعتبر أن لغة نزار قباني لا تزال لغة الأربعينات ، وأنها متأثرة بلغة أمين نخلة ، وبشارة الخوري ، وسعيد عقل ، وصلاح لبكي ، ما رأيك ؟ .

- ليس هناك شيء اسمه لغة الأربعينات ، أو الخمسينات ، أو لغة السبعينات .

فاللغة ليست حذاء نخلعه كل سنة ، أو كل شهر ونستبدله بحذاء جديد .

لغة طه حسين هي لغة طه حسين .

ولغة اندريه جيد هي لغة اندريه جيد ..

ولغة تولستوي هي لغة تولستوي ،

ولغة مايا كوفسكي هي لغة مايا كوفسكي .

ولغة محمد مهدي الجواهري هي لغة محمد مهدي الجواهري ، ولا يمكننا أن نطالبه باسم الحداثة أن يخلع ملابسه ويلبس لباس البيتلز .. ويرقص على موسيقى (الديسكو) ..

اللغة هي خصوصية الكاتب ، تماماً مثل بصمات أصابعه ، ولون عينيه ، وطول قامته ..

ولو جردت أوسكار وايلد .. أو عمر بن أبي ربيعة من لغته ، لبقي عارياً ..

68

* إلى أين وصلت القصيدة الجديدة في تقديرك ؟

ـ القصيدة الجديدة لا تزال تبحث عن جواز سفر تمر به من عصر إلى عصر ..

إن القصيدة الجديدة تنتقل بتذاكر مرور مؤقتة ، بعضها صالح ، وبعضها انتهى مدته ، بعضها إنكليزي ، وبعضها فرنسي ، وبعضها مزدوج الجنسية ..

وما لم تعثر القصيدة الجديدة على جوازها العربي المناسب ، فإن تشردها سيطول ..

69

* إلى أين تريد أن تذهب شعرياً ؟

أريد أن أذهب إلى حيث يذهب المطر ...

أريد أن أذهب إلى أصغر ذرة تراب في العالم العربي وأقول لها (أنا أحبك ..)

أريد أن أفتح مدرسةً للحب ، في كل المناطق العربية التي لا تزال تعيش في أمية العواطف ...

أريد أن لا يبقى على أرض الوطن العربي ، شجرةٌ تحت القمح .. أو نهرٌ تحت القمح .. أو عصفورٌ تحت القمع .. أو كتابٌ تحت القمع .. أو نهدٌ تحت القمح ...

أريد أن يصبح الحب ، كالتعليم ، مجانياً ، للرجال والنساء .. ومن روضة الأطفال إلى الجامعة ، فلا يبقى في هذا الوطن رجل لا يعرف أن يقرأ .. وامرأةٌ لا تعرف أن تحب ..

70

* يعزو بعضهم عدم قدرة متتبعي الشعر على التقاط الإشارات والدلالات التي تحفل بها القصيدة الحديثة ، إلى تبلد الحساسية الشعرية العربية وقصورها .. ويطالبون بتغيير حساسية الناس ليكونوا على مستوى القصيدة .. هل تعتقد أن هذا ممكن ؟

- إذا كان بالإمكان عملياً تغيير جلد الرجل الإفريقي إلى جلدٍ أشقر .. وتحويل المرأة السويدية إلى امرأة سودانية .. ومعالجة برودة الإنكليز التقليدية بواسطة الهرمونات .. فإنني لا أستبعد أن ينهض العربي ذات يوم من فراشه ليجد نفسه عضواً في اتحاد الكتاب السوفيات ..

إن الحساسية الشعرية لشعبٍ ما لا تنقلب على نفسها بزاوية 180 درجة ، لأن شاعراً .. أو شاعرين .. أو ثلاثة يريدون ذلك ..

إن التجديد في الشعر ليس عملية جراحية تحول الذكر إلى أنثى .. والأنثى إلى ذكر .. خلال ساعات ..

إن التجديد يحدث يومياً دون أن نراه ، ويجري في أعماقنا دون أن نلاحظه .. ودون أن نستعجله ، كما يأخذ الشتاء وقته لتحضير الأرض ، ويأخذ الصيف وقته لإنضاج الثمر .. ويأخذ الربيع وقته لإنجاز الديكورات الجميلة التي وعد بها الأرض .

إن الفصول لا تزاحم بعضها .. ولا تقاتل ...

فلا يأخذ تشرين مكان تموز ، ولا يأخذ نيسان محل أيلول ، فلماذا يريد

الشعر الجديد أن يطرد جميع المغنين والزبائن ويغني وحده للحيطان ؟

إن القصيدة العمودية بدأت تلملم ثيابها ، وتجمع حقائبها منذ وقتٍ طويل ،
وليس من اللياقة في شيء ، ولا من مكارم الأخلاق في شيء .. أن نرميها
هي وحقائبها من النافذة ، بدعوى أن عقد الإيجار بيننا
وبينها قد انتهى .. وأن عليها أن تخلي المأجور فوراً ..

هذه مواقف منافية لكل القواعد والأصول ..

فليتحل الشعراء الجدد بالصبر ، وليهيئوا أنفسهم لوراثة المنزل الأبوي ..
والاستيلاء على أثاثه ..

ولكن دون أن يرتكبوا جريمة قتل الأبوين ...

71

ما هي مهمة الشاعر في كل الأزمان ، وفي زمن المحنة بالذات ؟ .

ـ مهمة الشاعر أن يكون جهاز الرصد الذي يلتقط كل الذبذبات ،
والاهتزازات والانفجارات التي تحدث في داخل الأرض ، وفي داخل
الإنسان .

إن جهازه العصبي يجب أن يظل 24 على 24 ساعة في حالة استنفار
كاملة ورقابة ، بحيث يستوعب كل حركة تحدث تحت أرض التاريخ ، كما
تتحسس الخيول بقرب سقوط المطر قبل سقوطه .

وهوائيات الشاعر هذه ، تسمح له بأن يسمع أسرع من غيره ، وأقوى من غيره ، وبهذا المعنى يأخذ الشعر مدلول النبوءة .

إن الشاعر ليس منجماً ولا ساحراً ، وليس عنده مفتاح الغيوب ، ولكن أهميته تتركز في أنه يسبق الآخرين بثانية ، أو بجزء من أجزاء الثانية في اكتشاف الحقيقة ، ويقدمها لهم على طبقٍ من الدهشة ..

72

* إلى ماذا تفتقر الآن ؟ .

- أفتقر إلى وطن عربي يستقبل الكلمة بإحدى وعشرين طلقة مدفع .. ويمد تحت أقدامها سجادة حمراء .. ويصطف لها حرس الشرف كما يصطف للملوك .. ورؤساء الجمهوريات ..

73

* في أي موقف تشعر بأنك تحمل صفة البطولة ؟

ـ كلما أصدرت كتاباً بالحب أشعر بالبطولة .. لأنني مؤمن أن كتابة شعر الحب في هذه المنطقة .. هي ذروة البطولات ..

74

* في زماننا الصعب هذا ، يعيش الشاعر الصادق محاصراً بالسكاكين من جميع الجهات .. والشعر ، هذا الصوت المبحوح أحياناً ، والمجنون أكثر الأحيان ، ما هو برأيك الحل لفك الحصار
عن الشعر والشعراء .. وكيف ؟ .

ـ الحل هو أن تقتنع السكين أن لحم الشاعر لا يؤكل نيئاً .. ولا مطبوخاً .. ولا مشوياً ..

فطالما أن سكين السلطة لا تفرق بين لحم الكلمة .. ولحم الفرّوج .. فلا سبيل للتفاهم ..

تاريخياً .. ليس هناك أمل في توقيع معاهدة جنتلمان بين السلطان وبين الكاتب .

فالكاتب ، في ذروة كبريائه وغروره ، يعتبر نفسه سلطاناً . والسلطان يتصور من موقع السلطة ، أن صوته جميل .. وبوسعه أن يغني .. ويكتب ..

وهكذا تتزاحم السلطات ..

فالحاكم لا يقبل بسلطةٍ زمنية غير سلطته ..

والكاتب لا يقبل بسلطةٍ غير سلطة الحقيقة .

لذلك تبدو الكتابة في هذا الزمن الصعب . مهمة مستحيلة .

75

* هل أنت محاصر ؟ ....

- إلى أن أتعلم الكتابة في التدبير المنزلي ، وطريقة تحضير السمك بالمايونيز .. فأنا محاصر .

وإلى أن أتعلم كيف أخاطب الأطفال ، على طريقة (بابا شارو) فأنا محاصر ...

وإلى أن أتعلم كيف أمسح الجوخ ... وأغسل قدمي السلطان بماء الورد .. وماء الكرامة .. فأنا محاصر ..

وإلى أن أتعلم أن أكتب كلاماً لا لون ، ولا طعم ، ولا رائحة له .. وأن أغش

قرائي بقصائد ومقالات من (حواضر البيت) .. أو من بضاعة (البالة) .. فأنا محاصر ..

ولكن الكلمة ، رغم المسامير .. والخوازيق .. والأسلاك المكهربة .. والكلاب البوليسية المدربة جيداً .. وأجهزة التنصت .. وزوار الفجر ... تعرف كيف تكسر بمنقارها الفولاذي الحاد قشرة البيضة ... وتعرف كيف تتسلل من مواسير المياه ... لتفاجيء السلطان وهو
يأخذ حمَّامه الصباحي ..

* أنت في شعر الحب شاعر غاضب .. وفي شعر السياسة شاعر غاضب .. أين يبدأ الغضب عندك وأين ينتهي ؟ .

- صعب أن أحدد لك حدود غضبي .. فطالما أن مقص إسرائيل يقص كل يوم جزءاً من تاريخي .. وجزءاً من جغرافيتي .. وجزءا من كتب ، ودفاتر ، ومستقبل أولادي ، وطالما أن جثث الأطفال العرب الذين تحصدهم طائرات إف 16 تطفو كل صباح على وجه فنجان قهوتي .. فإن غضبي بحرٌ لا ساحل له ..

تسألني لماذا أرفض ؟

وأسألك بدوري لماذا أقبل .. وماذا أقبل ؟

هل أرفع قبعتي لهذه الدويلات العربيات المتناحرة كالديكة .. الغارقة حتى الرقبة في أنانياتها .. وفرديتها ، ونرجسيتها ، وعبادة ذاتها ؟ .

هل تريدني أن أبتهج للبيارق .. والمخافر ، وأكياس الرمل التي تصطدم بها وأنت تعبر الحدود بين خيام الأوس والخزرج .. وداحس والغبراء ...

لغيري أن يستعمل المنظار الوردي ، ولغيري أن يعمر القصور في إسبانيا ..

أما أنا فسوف أبقى ساحباً سيفي في وجه عصر الإنحطاط العربي .. حتى أقتله .. أو يقتلني ..

77

* لماذا يقول الشعراء في بعضهم كلاماً غير جميل ؟.. إذا فهمنا أن يصدر هذا التصرف عن شعراء لا يزالون في مرحلة التثبيت والتكريس .. فإن صدوره عن شعراء كبار أخذوا موقعهم على خارطة الشعر العربي ، ونالوا درع التثبيت .. يدعو إلى العجب .. فهل الموقف الإبداعي شيء .. والموقف الأخلاقي شيء آخر ؟ .

- لا يمكن أبداً أن يكون الإبداع منفصلاً عن الشرط الخلقي . فالعمل الإبداعي ، في أساس تكوينه ،عمل نبيل ومرتفع ..

لا يمكن في رأيي أن يكون الكاتب جميلاً على ورقة الكتابة .. وقبيحاً خارجها ..

لا يمكنه أن يكون قديساً في قصائده .. وشيطاناً في سلوكيته ومناقبيته .

هذا نوع من التعهر يناقض شرف الكتابة .

فالكتابة ، بأبسط مفاهيمها ، هي اتفاقية شرف يعقدها الكاتب مع المثل الأعلى .

وحين ينقض الكاتب الاتفاقية ، فلا بد من منعه من مزاولة المهنة ، كما

يُمنع الصيدلي من العمل إذا باع الناس سماً ، وكما تُسحبُ شهادةُ الطبيب منه إذا مارس عمليات الإجهاض ..

وبكل أسفٍ أقول ، إن بعض شعرائنا المعروفين ، يمارسون عمليات الإجهاض بشكلٍ علني ، في المقاهي ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، ولا يجدون (قوة ردع أدبية) تلقي القبض عليهم بتهمة الزنى بالكلمات .. والقذف العلني لزملائهم الشعراء ..

إنني أعتقد أن هؤلاء ، يعانون أزمة ثقة بالنفس ، لأن الشاعر الواثق من نفسه ، ليس لديه الوقت الكافي للتفكير بشيء غير القصيدة .

الشاعر الكبير حقاً ، هو المتفرغ لشعره وحده ، لا المتسكع ليلاً نهاراً على أرصفة الشتيمة ..

78

* الكتابة للصحافة الأسبوعية .. هل أرهقتك .. وبعبارة أخرى هل تشعر أن الكتابة النثرية تأخذ من ينابيعك الشعرية الداخلية ؟

ـ طبعاً أرهقتني ..

لأن المقالة السياسية عندي لم تكن عملاً هامشياً أسلقه بنصف ساعة ، وإنما كانت عملاً له كل مواصفات القصيدة ..

إن مشكلتي الكبرى ، عندما أكتب ، هي سقوط الحدود بين الشعر .. والنثر .. وفي أنني في نثري السياسي لا أستطيع أن أكون إلا شاعراً ..

لقد خضت تجربة الكتابة النثرية على مخاطرها ، لشعوري أن الشعر وحده ، بصياغاته ومعادلاته ونمنماته ، لم يعد قادراً على اللحاق بقطار التحولات السياسية الذي يشق الأرض العربية ... وأن الشاعر لم يعد بوسعه ، في هذا العصر الحارق والمحترق ، أن يبقى محتفظاً بجماله الأبدي مثل دوريان غراي في قصة أوسكار وايلد ... ولا أن يحافظ على طراوة أصابعه في عالم الأيدي المتشققة .. والوجوه المتشققة .. والقلوب المتشققة .. كما أن العصر لم يعد لديه الوقت الكافي لانتظار القصيدة حتى تنتهي من استكمال زينتها .

ومهما حاولت أن أجد لنفسي الأعذار والمبررات ، وأقول أن المرحلة تفرض علي أن أخوض معركة النثر ، وأوصل صوتي إلى الملايين الذين لا يصلهم شعري .

مهما حاولت أن أرش على الصحافة سكراً .. فالحقيقة أن كل كتابة على هامش الشعر .. تمتص دم الشعر ، إذا افترضنا أن في أعماق الشاعر خزاناً محدود المساحة من المياه ...
وما ينضحُ من هذا الخزان ليسقي براري النثر ... يكون على حساب المياه المخصصة لري الشعر.

على أن ما يرضي غروري هو حماس الناس لنثري ، حتى وصل الحال في بعضهم إلى اعتبار نثري أفضل وأهم من شعري ...

هل مثل هذه الشهادة لمصلحتي ؟ لستُ أدري . ولكنني أشعر أنني بالشعر كنت جميلاً .. فأصبحتُ بالنثر نافعاً وجميلاً ..

ولعل مما زادني قوةً وثقة ، ما لاحظته ولاحظه النقاد معي ، من أن قلة من الشعراء الجيدين .. تكتب نثراً جيداً ... وأن النثر ليس امتحاناً للشاعر فحسب ، ولكنه فضيحته الكبرى .

79

* لو طلب من نزار قباني الناقد نقد نزار قباني الشاعر فماذا يقول ؟

ـ ماذا أقول في هذا الرجل ؟ . وماذا أقول عنه ؟ .

هل أتعامل معه بقسوة مدير سجن .. أم أحاول أن أتعامل معه كممرضة ..

هل أقيس حسناته وسيئاته بميزان صيدلاني .. أم أتسامح معه ، وأحاول أن أجد له الأعذار ..

هل ألومه على طفولته ، وصدقه ، وطيبة قلبه ؟؟

هل ألومه لأنه كتب .. وكان بإمكانه أن لا يكتب ..

هل ألومه لأنه كان شاعراً .. وكان بإمكانه أن يكون مقاولاً ..

هل ألومه لأنه تورط .. وكان بإمكانه أن لا يتورط ...

هل ألومه على فرط حساسيته .. وكان بإمكانه أن يلغي حواسه الخمس .. ويستريح ..

هل ألومه لأنه نشر أفكاره .. وكان بإمكانه أن يبقيها كالأسماك المجلدة في جواريره ..

هل ألومه لأنه دخل إلى المطبعة .. ووسخ ثيابه وأصابعه وسمعته ، وكان بإمكانه أن يوفر على نفسه كل هذه المتاعب .. ويدخل إلى أقرب كباريه ؟

هل ألومه لأنه زرع المرأة وردةً في عروة ردائه .. ووضعها كحمامةٍ فوق رأسه ... فأثار بذلك غضب جميع الرجال وعداوتهم ؟

هل ألومه لأنه أخرج الحب من عتمة الدهاليز .. إلى الهواء الطلق .. وأعاد إليه اعتباره بعد أن كان طفلاً بلا نسب ..

هل ألومه لأنه حشر أنفه في الشأن السياسي .. وأطلق الرصاص على تجار الوطنية ، وسماسرتها ، ومقاوليها ، ومتعهديها .. ممن حولوا الوطن إلى مزرعةٍ يتوارثونها أباً عن جد .. وحولوا المواطنين إلى أبقارٍ يتقاسمون لحمها ، وحليبها ، ونخاعها ، وجلدها ، أباً عن جد ..

هل ألومه لأنه صرخ في وجه البشاعة ، والظلم ، والقمح ، وابتزاز الإنسان ...

هذه هي نماذج من أخطائي الجميلة ..

أقول : جميلة .. لأنني حين أستعرضها بعد أربعين سنة من ارتكابها .. أجدها رائعةً حقاً ... ولو أتيح لي أن أعيد حياتي أربعين عاماً إلى الوراء .. لارتكبت الأخطاء مرةً أخرى .. وأضفت عليها ...

ماذا تعني الأخطاء ؟ إنها تعني أنك تعمل .. وكل عملٍ بحد ذاته ، سواء كان عملاً مادياً أو عملاً فكرياً ، لا بد من أن يدخلك في ورطة .. أو مشكلة ...

يقول زوربا اليوناني ، إن الحياة هي في أساسها مشكلة .. وأما الموت فهو المؤسسة الوحيدة التي لا مشاكل فيها ...

ويبدو لي أن زوربا اليوناني كان في كلامه يعني الشعر أيضاً ....

80

* هل تعتقد أن شعرك سيكتب له الخلود ؟

كلمة خلود كلمة دراماتيكية جداً .. ومسرحية جداً .

وأنا لا أشغل بالي بالخلود .. بقدر ما أهتم بالوجود ..

ما دمت قادراً على تغطية المساحة العاطفية للعصر الذي وجدتُ فيه ، فهذا إنجازٌ جيد ...

أما العصور القادمة فسيكون لها شعراؤها ..

81

* نزار قباني ، سؤالٌ أخير .. متى تفكر في الاستقالة من الشعر ؟

- حين يقول لي الشعب العربي :

" يعطيك ألف عافية . لقد انتهى دورك الشعري ، فاترك المسرح لغيرك .. " فسوف أنفذ الأمر فوراً ، وأنسحب إلى وراء الكواليس .

إنني غير متشبث بلعب دور الفتى الأول في الشعر العربي .. ولا أسمح لنفسي أن أقعد على رقبة الشعب العربي مليون سنة ، وأقول له : أنا حبيبك .. أنا نجمك المفضل .. أنا فالانتينو .. أنا براندو .. أنا ترافولتا ..

ليس هناك إكراهٌ في الحب .. ولا هناك إكراهٌ في الشعر .. وما أسخف الشاعر الذي يظهر في إعلانات السجائر كعمر الشريف ، ليبقى محتفظاً بنجوميته ...

إنني شديد الواقعية في النظر إلى نفسي، والنظر إلى شعري .. ويوم أشعر أن الورقة التي أكتب عليها لا تريدني .. فسوف ألبس معطفي وأنسحب .. لأن وصال ورقة الكتابة دون إرادتها يعتبر اغتصاباً ...